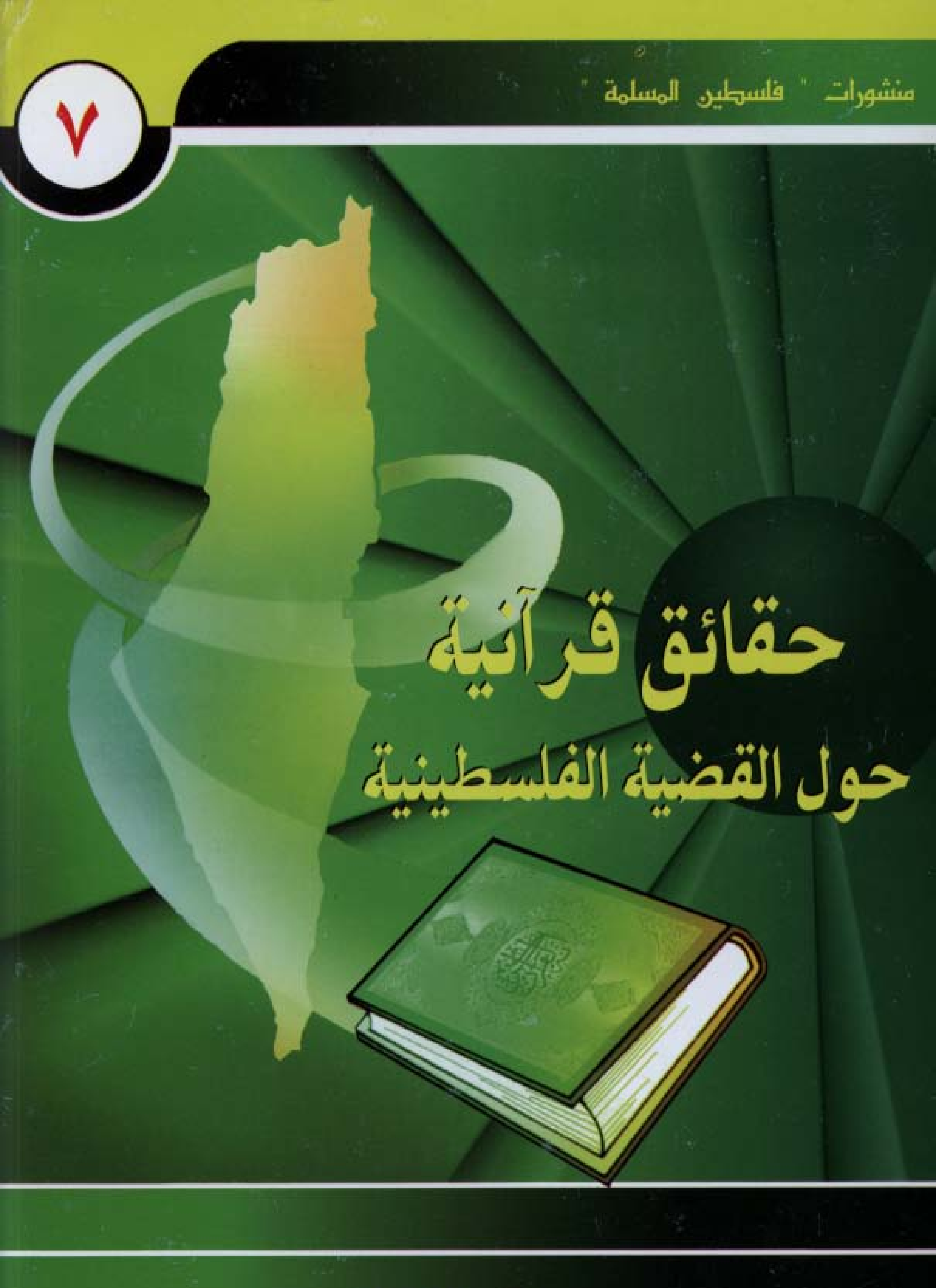


منشورات " فلسطين المسلمة "

٧

حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية

د. صلاح الخالدي

منشورات "فلسطين المسلمة"

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

لندن ١٩٩٥

٢١٠,٤٢٩٥٦٤

صلا صلاح عبد الفتاح الخالدي

حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية / صلاح عبد الفتاح الخالدي، لندن:

منشورات فلسطين المسلمة، ١٩٩٤

(١٦٣) ص

ر.أ (١٣٠٨/١٢/١٩٩٣)

١- الإسلام والقضية الفلسطينية ٢- القضية الفلسطينية أ- العنوان

(تمت الفهرسة من قبل المكتبة الوطنية)

إهداء

إلى المجاهدين الأبرار على ثرى فلسطين المبارك، الذين يواجهون اليهود بإيمان وجهاد، وثبات ويقين، أقدم لهم هذه الحقائق القرآنية، فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وعدوان اليهود عليها، ليزداد هؤلاء المجاهدون إيماناً وجهاداً، وثقة ويقيناً، وأملاً بالنصر، وتحرير كامل فلسطين، وإزالة كيان اليهود عنها، كما تقرر هذه الحقائق القرآنية.

وإلى الآخرين ممن لم يتبنوا خط المواجهة والجهاد، ولم يلتزموا بالإسلام عقيدة وعبادة، وسلوكاً وعملاً، وحركة وجهاداً، والذين ما زالوا يبحثون عن شعارات وطروحات وحلول أخرى، ويسعون وراء أوهام وخيالات وأحلام. أقدم هذه الحقائق القرآنية، ليسيروا معنا، في موكب الإيمان والإلتزام، والدعوة والمواجهة، والرباط والجهاد، لنسارع بوعينا وحركتنا وجهادنا، في قدوم النصر والفتح، وهو قادم لا محالة إن شاء الله.


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

مقدمة الطبعة الثانية ١٥

تقـــديم ١٧

تمهيد: بين يدي هذه الحقائق القرآنية ٢١

مدركون للمعركة وغافلون عنها ٢١

طابور ينفذ مخططات اليهود ٢٢

قلة بصيرة تثبت الأمة ٢٢

هي قلة مجاهدة ٢٢

وهي تعي خطورة الموقف ٢٣

قلة قبلت التحدي والمواجهة ٢٤

دعوة للإنحياز إليها ٢٥

لنكن أسباباً للنصر ٢٦

دخول المعركة بسلاح القرآن ٢٦

الفصل الأول : الأرض المباركة في القرآن ٢٧

الله بارك هذه الأرض ٢٨

مجيء إبراهيم ولوط إلى فلسطين ٢٨

ذرية إبراهيم في فلسطين ٢٩

مجيء بني إسرائيل إلى فلسطين ٣٠

مظاهر حكم سليمان في فلسطين ٣٢

الصلة بين اليمن وفلسطين زمن سليمان ٣٤

الإســـــراء إلى فلسطين ٣٥
ستة مظاهر تاريخية للبركة في فلسطين ٣٦
دلالات ولطائف من الآيات ٣٧
بركة زمان ومكان وإنسان ٣٨
بركة الإنسان مقيدة بالإيمان ٣٩
هي بركة للعالمين ٣٩
الفصل الثاني : الأرض المقدسة في القرآن ٤١
آيات التقديس في القرآن ٤١
جبريل هو روح القدس ٤١
الله هو القدوس ٤٢
"طُوىً" هو الوادي المقدس ٤٣
الأرض المقدسة ما بين النيل والفرات ٤٤
دلالات من آيات التقديس ٤٦
فلسطين أرض البركة والقداسة ٤٨
الفصل الثالث : فلسطين إسلامية منذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام ٥١
حقائق القرآن ضد أباطيل اليهود ٥١
هجرة إبراهيم إلى فلسطين ٥٢
عهد الله لإبراهيم وبنيه المؤمنين ٥٤
فلسطين إسلامية منذ عهد إبراهيم عليه السلام ٥٥
الفصل الرابع : إبراهيم عليه السلام هو باني الكعبة والأقصى ٥٧
إبراهيم عليه السلام أمة ٥٧

تنازع الطوائف في الإنتساب لإبراهيم ٥٨
الوراثة النَّسبية والوراثة الإيمانية ٥٩
المسلمون هم الوارثون لإبراهيم ٦١
إبراهيم باني الكعبة والأقصى ٦٢
الأقصى بُني قبل الهيكل بمئات السنين ٦٣
المسلمون جدّدوا بناء الأقصى ٦٤
الفصل الخامس : داود وسليمان يقيمان حكماً إسلامياً لا يهودياً .. ٦٧
الإسلام خضوع الكون لله. ٦٧
الإسلام دين كل الأنبياء. ٦٨
الإسلام دين هذه الأمة. ٦٩
أنبياء بني إسرائيل مسلمون ٧٠
إبراهيم حنيف مسلم ٧١
يعقوب يوصي بنيه بالإسلام ٧٢
موسى يدعو إلى الإسلام ٧٣
داود خليفة مسلم ٧٣
سليمان حاكم مسلم وداعية للإسلام ٧٥
هيكل سليمان: ليسلم فيه الناس لله ٧٦
الفصل السادس : موقفنا من تاريخ بني إسرائيل ٧٩
رفض النظرة القومية إلى تاريخهم ٧٩
النظرة القرآنية الإيمانية ٨٠
بنو إسرائيل السابقون صنفان ٨١

القرآن ينصف القلة المؤمنة منهم ٨١
آيات تجمع بين الصنفين ٨٣
تاريخ بني إسرائيل الإيماني تاريخ لنا ٨٤
تاريخ بني إسرائيل الأسود نحن ضده ٨٦
نحن وأنبياء بني إسرائيل ٨٧
إيماننا بأنبيائهم ٨٨
نحن أحق بموسى منهم ٨٨
أنبياؤهم يتبرءون منهم ٩٠
كل اليهود الان كفار ٩٠
الفصل السابع : لا نقول "دولة إسرائيل" ٩٣
اليهود يستغلون اسم "إسرائيل" ٩٣
ترديد بعضنا اسم "إسرائيل" ٩٤
من هو إسرائيل؟ ٩٥
لماذا سمي يعقوب إسرائيل؟ ٩٦
من هم بنو إسرائيل؟ ٩٧
متى سماهم القرآن يهوداً؟ ٩٨
هم يهود وليسوا إسرائيليين ١٠٠
الفصل الثامن : الرسول يتسلم مفاتيح الأرض المقدسة عند إمامته ١٠١
من آيات الإسراء المتعلقة بالأرض المقدسة ١٠١
سرعة دابة البراق الفائقة ١٠٢
حلقة باب الأقصى مربط دواب الأنبياء ١٠٢

هو مسجد أقصى باعتبار ما كان وما سيكون ١٠٣

إمامة الرسول بالأنبياء في الأقصى ١٠٤

اعتراف الأنبياء بأن محمداً هو أفضلهم وخاتمهم ١٠٤

تسليم مفاتيح الأرض المقدسة لمحمد وأمته ١٠٥

التسلم والتسليم في المسجد أثناء الصلاة ١٠٦

الرسول هو الفاتح للأرض المقدسة نظرياً ١٠٦

وصف الرسول لبعض الأنبياء ليلة الإسراء ١٠٧

الفصل التاسع : الفرات والنيل نهران إسلاميان وما بينهما أرض مقدسة ١٠٩

الفطرة ترفض شرب الخمر ١٠٩

جمال أنهار الجنة الباطنة ١١٠

من أين ينبع الفرات والنيل؟ ١١١

كيف هما من أنهار الجنة؟ ١١١

طبيعة النهرين والأرض بينهما ١١٢

هما إسلاميان وبينهما أرض إسلامية ١١٢

بين النظرة الإسلامية والنظرة اليهودية ١١٣

النظرة اليهودية للنهرين وما بينهما ١١٤

تخطيطهم لإنشاء إسرائيل الكبرى ١١٤

النظرة الإسلامية للنهرين وما بينهما ١١٥

العاقبة للنظرة الإسلامية بإذن الله ١١٦

الفصل العاشر : مستقبل اليهود كما تقرره سورة آل عمران ١١٧

وجود اليهود موقوت ١١٧

سورة آل عمران تحدد مستقبلهم ١١٨
"لن يضروكم......" ١١٩
فشل اليهود في هدفهم منا ١٢٠
"إلا أذى...." ١٢١
نجاح اليهود في إيذائنا ١٢٢
اليهود لم يقاتلوا الربانيين ١٢٤
لا ينصرون أمام الربانيين ١٢٤
ضرب الذلة والمسكنة عليهم ١٢٥
"إلا بحبل من الله...." ١٢٦
حبل الله هو إرادته الحكيمة ١٢٧
حبال الناس الممتدة لليهود ١٢٧
الحبل الأوروبي ١٢٧
الحبل الأمريكي ١٢٨
الحبل الروسي ١٢٨
الحبل العربي ١٢٩
وستتقطع الحبال كلها. ١٣١
الفصل الحادي عشر : مستقبل اليهود كما تحدده سورة الأعراف ١٣١
سينالهم غضب وذلة ١٣٢
هل يوفق المغضوب عليه؟ ١٣٣
باءوا بغضب على غضب ١٣٤
اليهود يزرعون الغضب ١٣٥

الغضب الساطع آت ١٣٦
سنة الله في تعذيب اليهود ١٣٧
"وإذ تأذن ربك. . . . . " ١٣٨
"ليبعثن عليهم. . . . . . . " ١٣٩
تعذيب اليهود على يد غير المسلمين ١٤٠
المسلمون بعث رباني على اليهود ١٤٠
هذا البعث مستمر إلى يوم القيامة ١٤١
الحقيقة على لسان سيد قطب ١٤١
الفصل الثاني عشر : مستقبل اليهود كما تقرره سورة الإسراء ١٤٣
صراع بين رسالتين ١٤٣
سورة الإسراء وبنو إسرائيل ١٤٣
المسجد الأقصى والبركة حوله ١٤٤
مظاهر البركة حول المسجد الأقصى ١٤٥
لماذا الإسراء إليها والمعراج منها؟ ١٤٧
سر الربط بين المسجدين ١٤٨
صراع بين رسالتين ١٥٠
إفسادان لبني إسرائيل ١٥٠
اختلاف في الإفسادين ١٥١
مع الطبري في الإفسادين ١٥٢
فهم معاصر للإفسادين ١٥٣
إخبار الله لليهود في التوراة ١٥٤

اليهود يسيرون نحو حتفهم ١٥٥
الإفساد والعلو ملازمان لحكم اليهود ١٥٦
إفساد اليهود الأول في المدينة ١٥٧
معنى القضاء في القرآن ١٥٨
أين إفساد اليهود الأول؟ ١٥٩
إفسادهم الأول في المدينة ١٦٠
مظاهر فسادهم وإفسادهم في المدينة ١٦٢
إفسادهم في المدينة بعد البعثة ١٦٢
تدبر أخبار من كتب السيرة ١٦٣
الرسول وأصحابه أزالوا إفسادهم الأول ١٦٤
"فإذا جاء وعد أولاهما........" ١٦٥
"بعثنا عليكم...." ١٦٦
"عباداً لنا....." ١٦٧
"أولي بأس شديد " ١٦٨
"فجاسوا خلال الديار......" ١٦٩
نحن نعيش الإفساد الثاني لليهود ١٧٠
الحرب في الإفسادين بينهم وبين المسلمين ١٧١
"ثم رددنا لكم الكرة عليهم....." ١٧٢
"وأمددناكم بأموال وبنين...." ١٧٣
قناتان تمدان اليهود ١٧٤
"جئنا بكم لفيفاً....." ١٧٥

"وجعلناكم أكثر نفيراً. . . . . . " ١٧٧
إزالة الإفساد الثاني لليهود ١٧٨
اليهود بين الإحسان والإساءة ١٧٨
تمكن اليهود ملازم لإساءتهم ١٨٠
هذا هو الإفساد الأخير لليهود ١٨١
لماذا قال: "ليسوءوا وجوهكم"؟ ١٨٢
هزيمة وإزالة وليست إبادة ١٨٤
معركتنا مع اليهود ذات مرحلتين ١٨٤
"وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة. . . " ١٨٦
المعركة معركة الأقصى ١٨٧
لطائف قرآنية من الآيات ١٨٨
أفعال ثلاثة مقابل أفعال ثلاثة ١٨٩
بين "إذا" و"إن" ١٨٩

مقدمة

الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى من هذه الحقائق القرآنية حول القضية الفلسطينية قبل سنة، في حلقة سابقة من «منشورات فلسطين المسلمة».

وقد استقبل الإخوة القراء الكتاب استقبالاً طيباً، وأبدوا إعجابهم به، وتفاعلهم مع معلوماته وتحليلاته، جزاهم الله خيراً، وأرجو أن يكون قبول الكتاب عندهم، ورواجه بينهم، دليلاً على قبوله عند الله سبحانه وتعالى، فإلى الله وحده أتقدم بهذا الكتاب -وغيره مما أكتب- ومنه وحده أبتغي جزيل الأجر والثواب.

وأتقدم بشكري الجزيل للإخوة الكرام، على ما أظهروه من مظاهر الرضى والاستحسان، وما غمروني به من معاني الكرم والثناء، وإنني أعتز بهذا الرصيد الكريم من هذه المشاعر والعواطف. وهذا الثناء الغامر والتفاعل الحي منهم، يدفعني إلى مزيد من الجهد والنظر، والتحليل والاستنباط، خدمة لإسلامنا العظيم، ونصحاً لجنوده الصادقين الصابرين المجاهدين.

أعدت قراءة الكتاب، بمناسبة رغبة الإخوة القائمين على إصدار هذه السلسلة، في إخراج طبعة ثانية له -لنفاد طبعته الأولى- وأجريت على مادته بعض التعديلات والتنقيحات الضرورية، لكن الكلام في مجمله بقي كما هو.

ورأيت من المناسب أن أضيف له بعض الحقائق التي تتمم موضوعه. مثل التمهيد الذي جعلته بين يدي هذه الحقائق القرآنية.

ومثل «الفصل الثامن» الذي جعلت عنوانه: «الرسول صلى الله عليه وسلم

يتسلم مفاتيح الأرض المقدسة عند إمامته بالأنبياء ليلة الإسراء».

والفصل التاسع الذي جعلت عنوانه: «الفرات والنيل نهران إسلاميان وما بينهما أرض إسلامية مقدسة».

إن ما جرى في هذه السنة، من أحداث خطيرة ومفاجآت حادة، بالنسبة للقضية الفلسطينية، والتوسع اليهودي في بلاد العرب والمسلمين، قد زادنا إيماناً بصحة وصدق الحقائق القرآنية المذكورة في هذا الكتاب، وزادنا يقيناً أن اليهود سائرون نحو مستقبلهم الأسود والمظلم الذي حددته آيات القرآن، وأنهم كلما ازدادوا توسعاً وتمكيناً واستعلاءً، ازدادوا اقتراباً من ذلك المصير الحتمي المدمر!!

وإنني أدعو الإخوة القراء إلى نشر هذه الحقائق القرآنية بين المسلمين، ليزدادوا إيماناً ويقيناً، وعزيمة وجهاداً، وأملاً وعملاً، وسيراً نحو النصر والتمكين.

وكم حمدت الله عندما علمت أن الكتاب قد ترجم إلى بعض اللغات، كالأوردية والأندونيسية والتركية والروسية والإنجليزية. جزى الله خيراً من قاموا بذلك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الأربعاء ١٤/ ٢/ ١٤١٦هـ

١٢/ ٧/ ١٩٩٥

د. صلاح عبد الفتاح الخالدي

تقديم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله الحكيم قدّر أن نعيش في هذا العصر، الذي شهد تحكم الجاهلية في أقطار العالم، وشهد نجاح الكفار والأعداء في القضاء على الخلافة الإسلامية، وتمكنهم من إقصاء الإسلام عن الوجود الفعلي الصادق المؤثر في مجتمعات المسلمين، والذي شهد "غزواً" صليبياً كافراً، من دول الكفر ضد المسلمين، ونجاح هؤلاء الأعداء في السيطرة على بلاد المسلمين، وتغريب أبناء المسلمين، وإبعادهم عن الالتزام الحقيقي بهذا الدين، إلا من رحم الله من الصالحين الصادقين الثابتين.

وقد ابتلانا الله بأن جعلنا نعيش في هذا العصر، الذي شهد "بعثاً يهودياً" عالمياً، وهجمة يهودية على الأرض المقدسة، حيث تمكن اليهود من إقامة دولة وكيان لهم على أرض فلسطين، ويطمعون في السيطرة على كامل الأرض المقدسة المباركة، الواقعة بين النهرين الإسلاميين: النيل والفرات.

إن من ينظر إلى اليهود بمنظار القرآن ،لن يخدع بهم أبداً، وإن الذي يتزود في جهاده لليهود بزاد القرآن ،لن يملّ من الجهاد أبداً، وإن الذي يتعامل مع القضية الفلسطينية على أساس حقائق القرآن ،لن يتخلى عنها، ولن يتنازل عن شبر منها، ولن يفاوض اليهود ولن يصالحهم عليها.

إننا نريد لقومنا وأهلنا وإخواننا أن يرجعوا إلى حقائق القرآن، وأن يتزودوا منه، وأن يستنطقوه، وأن يهتدوا به، وأن يتحركوا به، وعندها يكونون قد بدأوا السير خطوات ثابتة ،في طريق الجهاد اللاحب الطويل، الذي يقود إلى النصر، وينتهي إلى إزالة كيان اليهود على أرض فلسطين ،ويحقق تحرير كل فلسطين من البحر إلى النهر، ومن رفح إلى الناقورة.

لقد قدمتُ مساهمة سابقة متواضعة في التعريف بأعدائنا اليهود ،على هدي آيات القرآن، حيث نشرت قبل سنوات كتاب "الشخصية اليهودية من خلال القرآن: تاريخ وسمات ومصير" . ثم نشرت عدة مقالات في مجلة "فلسطين المسلمة"، خلال ثلاث سنوات تحت عنوان :« حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية». ثم رأى الإخوة الكرام: أسرة تحرير مجلة «فلسطين المسلمة» إصدار هذه المقالات المسلسلة المتتابعة في كتاب، ليسهل على القارئ متابعتها وقراءتها. ولتكون مجموعة أمامه.

فأثنيت على رأيهم، وأعدت قراءة هذه المقالات، ونسقت بينها ،وجعلت لها العناوين الجانبية ،فجاءت على هذه الصورة.

بدأت هذا الكتاب بالكلام عن الأرض المباركة والأرض المقدسة، كما عرضتها آيات القرآن. ثم تكلمت عن التاريخ الاسلامي لفلسطين ،منذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام ،وبينت أن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى المسجد الأقصى، في القدس، وأن أنبياء وملوك بني إسرائيل أقاموا في فلسطين حكماً إسلامياً، وليس يهودياً، وأن دولة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام في فلسطين كانت دولة إسلامية ،ولم تكن دولة يهودية.

ثم تحدثت عن موقفنا من التاريخ السابق لبني إسرائيل، ودعوت الى تبني التاريخ الإسلامي الصالح ،لأنبيائهم ومؤمنيهم وصالحيهم ،واعتباره "عمقاً" لتاريخنا ،وإلى محاربة تاريخهم السيىء، الذي يقوم على البغي والعدوان.

ثم عـرضت آيات قـرآنيـة في ثلاث سـور: آل عـمـران، والأعـراف، والإسراء. . . . ولاحظت من تلك الآيات حديثها عن سنة ربانية ،قررها الله على اليهود، وطبقت هذه الآيات على الكيان اليهودي المعاصر، المقام على أرض فلسطين، واستخلصت من حقائقها أن مستقبل هذا الكيان مظلم، وأن اليهود يسيرون بخطى سريعة ،نحو حتفهم وهلاكهم وذبحهم.

وكانت الوِقفة طويلة أمام آيات سورة الإسراء ،التي تتحدث عن إفسادين كبيرين لليهود.

وقد رجحت على هديِ تلك الآيات من سورة الإسراء -أن إفساد اليهود الأول كان في المدينة والحجاز ،قبيل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الرسـول صلى الله عليه وسلم هو الذي أزال -مع أصحابه الكرام- إفسادهم الأول، كما رجحت -على هديِ تلك الآيات- أننا نعيش الإفساد الثاني لليهود، وسجلت الأدلة على ذلك من الآيات.

وأقدم هذا الكتاب للقراء الكرام، راجياً أن يجدوا فيه بعض النفع، طالباً منهم أن يخبروني بما يرونه من ملاحظات واستدراكات، داعياً الله أن يتقبله بقبول حسن، طامعاً منه حسن الثواب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي
صويلح في ١٧/ ١/ ١٤١٤هـ
٧/ ٧/ ١٩٩٣م

تمهيد

بين يدي هذه الحقائق القرآنية

يقر كل مسلم واعٍ بصير أن الأمة تواجه في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخها معركة شديدة طويلة مع أعدائها، ومع ألد هؤلاء الأعداء، وهم اليهود. وأن الأمة اليوم تتلقى هجمة يهودية عنيفة، وغزواً يهودياً مركزاً شاملاً. وأن قادة الأمة من الحاكمين والسياسيين لم يعملوا على تعبئة قوى الأمة وحشد طاقاتها، لمواجهة هذا التحدي اليهودي الكبير، بل كانوا عوناً لليهود في تنفيذ مخططاتهم، وتحقيق هجومهم، وعملوا على إذلال وإخضاع الأمة لليهود. وصدق في هؤلاء القادة قول الشاعر «عمر أبو ريشة»:

لا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم

مدركون للمعركة وغافلون عنها

ويدرك كل مسلم واعٍ بصير أن اليهود في هذه المرحلة من حربهم للأمة، قد قطعوا شوطاً كبيراً في تنفيذ مخططاتهم، وأنهم قد حققوا كثيراً مما رسموه وأرادوه، وأنهم ماضون قدماً في إكمال تحقيق مشاريعهم وبرامجهم ومخططاتهم، للتمكن من المنطقة والسيطرة عليها، وإخضاع العالم معها، وإيجاد العصر اليهودي، والهيمنة اليهودية.

هذه أمور يقر بها ويدركها المسلمون الواعون البصيرون في هذه الأمة، ويتفقون في الإجماع عليها والاعتراف بها.

بينما نرى قطاعات كبيرة من الأمة لا تعي هذه الأمور، ولا تعيش حقيقة المعركة مع اليهود، ولا تقف على الخطر اليهودي، وهذه القطاعات الكبيرة التي تضم ملايين عديدة يتعاملون مع المسألة بسذاجة وبلاهة و«عبط»، ويستسلمون

للمكائد والأساليب اليهودية، و«ينشغلون» بشهواتهم ومنافعهم ومصالحهم الذاتية الفردية، ويقبلون أن يكونوا «أممين» عبيداً خاضعين لليهود، وأن يتحولوا إلى «حقل تجارب» للنتاج اليهودي الكريه، والإنتاج اليهودي المدمر.

طابور ينفذ مخططات اليهود

أما «الطابور الكبير» الذي ينخر في الملايين الساذجة، والذي يروج فيها الغزو اليهودي، و«يسوق» فيها هذا النتاج اليهودي، فهذا الطابور هو الأداة اليهودية في التمكن من الأمة، وهذا الطابور مكون من المزورين: من الإعلاميين.والمطبلين، ومن السياسيين والدبلوماسيين، ومن الحاكمين والمتنفذين، ومن المخططين والمنظرين والمحللين، ومن الكاتبين والمتحدثين، كل هؤلاء المروجين للبضاعة اليهودية، أعداء للأمة، وأعوان لليهود.

وإذا كان هذا الطابور يملك أدوات القيادة والإدارة والسيطرة في الأمة فتكون المصيبة أكبر، والمؤامرة أعتى، والمعركة أعنف، والمسؤولية أعظم!!

قلة بصيرة تثبت الأمة

والذين يعملون على تثبيت الأمة أمام الخطر اليهودي، وعلى «تحصينها» أمام الفساد اليهودي، وعلى تهيئة وتربية وإعداد الأمة لتقف أمام الهجمة اليهودية، هؤلاء قلة قليلة في عددها، لكنها كثيرة في أثرها، عظيمة في نفعها، وهذه طبيعة جند الحق دائماً، كما قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾.

هذه القلة الواعية البصيرة هي التي تحمل «همّ» المسلمين، وتقوم «بالمسؤولية» المنوطة بها، وهذه القلة تعمل جاهدة على إيقاظ الأمة المسلمة، وعلى فتح عيونها على الخطر، وعلى إعدادها وتربيتها وتهيئتها للقيام بواجبها الجهادي في المستقبل.

هي قلة مجاهدة

هذه القلة العاملة المجاهدة تقوم بأكبر واجب، وتؤدي أعظم رسالة، وهي

الكواكب النيرة المضيئة في ليل الأمة المظلم، وهي الأمل المرتجى لهذه الأمة، هي التي تبذر الآن بذور الأمل، لتنبت وتنمو في ما بعد، وتغرس غراس التغيير، لتثمر التغيير المرجو القادم في المستقبل.

هذه القلة البصيرة المجاهدة، تنفق في هذه المهمة العظيمة كل ما وهبها الله، من مال ووقت، وسعي وجهد، وفكر ووعي، وقلوب وعقول وأعصاب، وأيام وشهور وسنوات، وآمال وبرامج وأمنيات.

ينطبق على هذه القلة المجاهدة العاملة قول الشاعر:

ذو العقل يشقى في الوجود بعقله ... وأخو الجهالة في الجهالة ينعم

وتخاطب هذه القلة المجاهدة المملوءة همة وعملاً وسعياً وجهاداً الأمة السادرة اللاهية العابثة، بقول الشاعر:

تعجبين من سقمي ... صحتي هي العجب

تضحكين لاهية ... والمحب ينتحب

وهي تعي خطورة الموقف

وتواجه هذه القلة المجاهدة بكل الكيد والمكر والحقد والكره، حيث يدرك الأعداء اليهود، وأعوانهم وعملاؤهم، خطورة هذه القلة المجاهدة على مشاريع وبرامج ومخططات اليهود للسيطرة على المنطقة، ويعلم هؤلاء الأعداء أنه لا يقف أمام اليهود إلا هؤلاء المجاهدون، ولا يحصن الأمة إلا المجاهدون، ولا يكشف "زيوف" اليهود إلا المجاهدون، ولا يثبت في المواجهة إلا المجاهدون، ولا يبقى ويستمر إلا أثر هؤلاء المجاهدين، ولا ينفع الأمة إلا جهود هؤلاء المجاهدين.

ويريد الأعداء اليهود وأعوانهم سحق هؤلاء المجاهدين والقضاء عليهم، لتخلو الساحة لليهود، ويتمكنوا من تنفيذ مخططاتهم.

لكن القلة المؤمنة الواعية المجاهدة تعي هذه الحقيقة، وتدرك خطورة المعركة،

وتعرف ما هي مقدمة عليه، وتقف على درجة الخطر، إنها تتصور كل هذا، لكنها لا تهولها التضحيات الجسام، ولا تخيفها الضريبة الباهظة، والثمن المرتفع الذي تدفعه.

إن هذه القلة المؤمنة الواعية البصيرة تعرف طريقها، وقسوة ومشقة ووعورة هذا الطريق، وما يتطلبه من بذل وجهد وتضحية، وما ينتج عنه من آلام ومآس، وتعرف نهاية هذا الطريق المضمونة الأكيدة، التي تحقق لها الفوز والنجاح والكسب، والتي تجعلها تتحمل كل ما دفعته من ثمن باهظ لتنال تلك النتيجة المرجوة، والسعادة المرغوبة.

قلة قبلت التحدي والمواجهة

هذه القلة المؤمنة المجاهدة تقبل على هذه المواجهة مع اليهود، وتدخل ميدان المعركة معهم، وترضى بالتحدي، وهي معتصمة بحبل الله، متوكلة على الله، موقنة بنصر الله، راضية بقدر الله الذي اختارها لهذه المهمة العظيمة، مؤمنة بتحقيق وعد الله، راغبة في نيل مرضاة الله، مزودة بسلاح الإيمان واليقين، والوعي والبصيرة، والصبر والثبات، والجهاد والمواجهة والتحدي.

هذه القلة المجاهدة ثابتة وسط المبدلين، صابرة وسط المرعوبين، شجاعة وسط الجبناء، مستيقظة وسط النائمين، واعية وسط السذج، بصيرة وسط المخدوعين، مهتدية وسط الحائرين، مطمئنة وسط المحبطين، موقنة وسط الشاكين، مجاهدة وسط القاعدين.

تدخل المعركة بهذه النية، وهذه الهمة، هذه العزيمة، وهذه البصيرة، وهذه الثقة.

ينطبق عليها في هذا كله قول الشاعر:

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

وتتمثل في تحديها ومواجهتها وجهادها بقول الشاعر:

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدى
وما العيش لا عشت إن لم أكن مهوب الجناب حرام الحمى
لعمرك إني أرى مصرعي ولكن أغذ إليه الخطى
أرى مقتلي دون حقي السليب ودون بلادي هو المبتغى
لعمرك هذا ممات الرجال فمن رام موتاً شريفاً فذا

دعوة للانحياز إليها

إننا ندعو كل راغب في التغيير، جاد في الإصلاح، يتمتع بإيمان ووعي، وهمة وعزيمة، وبصيرة وثقة، إلى أن ينحاز إلى هذه القلة المؤمنة الواعية البصيرة المجاهدة، وأن يلتحق بهذا الموكب الإيماني الجهادي التربوي، ندعو إلى ترك السعي وراء السراب، والتخلي عن الأوهام، وعدم الإنخداع بالبضائع الفكرية اليهودية المسوقة في سوق الأمة، وعدم الاغترار بالزيوف اليهودية الرائجة. ندعو إلى إزالة الشك والتردد والحيرة، والسير الجاد الصادق في الطريق الوحيد المضمون، طريق التربية والإعداد والتهيئة والجهاد، طريق المواجهة والتحدي، والمقاومة والتصدي، والاستعلاء على كل المعوقات والمثبطات، والمغريات والمضللات.

هي العنقاء تأبى أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا

ونقول للمترددين الحائرين، والمشفقين، الخائفين: اختاروا مواقعكم الآن وسط هذه القافلة المجاهدة، ولا تحجموا بسبب ضخامة التبعة، وارتفاع الثمن، فهذا هو الطريق الوحيد، الذي يليق بإيمان المؤمن، ورجولة الرجل، وعزيمة المجاهد.

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر

وإذا بقيتم على ترددكم وإحجامكم، وخوفكم وإشفاقكم، فإن القافلة تسير بدونكم، وإن المهمة تؤدى بغيركم، ولا نريد أن تستيقظوا متأخرين، فقد يفوتكم القطار، أو قد لا تجدون فيه موطىء قدم، لأن الاخرين يكونون قد سبقوكم إليه، وحجزوا أماكنهم فيه: «وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم».

لنكن أسباباً للنصر

إن دين الله منصور، بنا أو بغيرنا، فلماذا لا نكون نحن سبباً بشرياً في نصره؟ وإن الحق سيعلو، على أيدينا أو أيدي غيرنا، فلماذا لا نعلي نحن لواءه؟ وإن الباطل سيزهق بإذن الله، بجهودنا أو بجهود غيرنا، فلماذا لا نكون البادئين بإزهاقه؟ والأجيال القادمة ستحقق ذلك.

لنحرص على أن نكون ستاراً لقدر الله، يحقق الله قدره في إيقاظ الأمة من خلالنا، وينصر الله الحق على أيدينا، ويقمع الله الباطل بجهودنا، لنحرص على أن نكون أسباباً وأدوات لكل هذا، والمقدر والمسبب والمريد هو الله سبحانه.

دخول المعركة بسلاح القرآن

إلى هؤلاء الثابتين الصابرين، المجاهدين البصيرين، نوجه دعوتنا ليدخلوا المعركة الحتمية مع اليهود، مسلحين بسلاح القرآن، مستنيرين بأنوار القرآن، متعاملين مع حقائق القرآن بإيمان ويقين، ووعي وبصيرة.

اليهود مزورون، وقد كشف القرآن تزويرهم، اليهود أصحاب زيوف، وقد فضح القرآن زيوفهم، اليهود «مجمع» نقائص ورذائل ومفاسد، وقد وضح هذا القرآن، اليهود أعداء ماكرون، وقد عرفنا عليهم القرآن.

الفصل الأول

«الأرض المباركة في القرآن»

فلسطين وما حولها بلاد مباركة، باركها الله سبحانه، وهي أرض مقدسة، قدسها الله ،وجعلها أرض العقيدة والإيمان، وأرض الطهر والفضيلة، وأرض المواجهة والجهاد، وأرض الرباط والاستشهاد، وأرض الحسم والتقرير.

ولفلسطين وما حولها من البلاد تاريخ إسلامي إيماني عريض، هاجر إليها أنبياء كرام، وعاش فيها رسل عظام، وأقام فيها مؤمنون صالحون، وجاهد عليها مجاهدون، وقامت فيها دول إسلامية، وهزمت عليها جيوش كافرة.

والإيمان مستقر راسخ في فلسطين منذ القدم، ضارب بجذوره فيها، وكم حاول الكفار اجتثاثه منها، وإرساء الكفر مكانه ،فباءت جهودهم بالفشل الذريع.

وجعل الله فلسطين المباركة -وما حولها من الأرض المقدسة- لأمة الخلافة والشهادة على الناس، أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- وطالبها أن تحافظ عليها، وأن تُفشل مؤامرات الكافرين الطامعين فيها، وأن تجاهدهم على ثراها المبارك.

وتعيش هذه الأرض المباركة المقدسة في هذا العصر ،هجمة "يهودية" شرسة، ومخططات يهودية خبيثة للسيطرة عليها، والتمكن منها، وجعلها مقر القيادة اليهودية الشيطانية، للسيطرة على العالم أجمع.

ويقف رجال مجاهدون أبرار من المسلمين ،أمام هذه المخططات اليهودية، يعلنون الوجه الإسلامي البارز لهذه الأرض، والرفض الإيماني الثابت للوجود اليهودي عليها، ويقفون أمام الشياطين اليهود برباط وجهاد وثبات.

الله بارك هذه الأرض

أشارت آيات القرآن إلى حقيقة قاطعة، وهي البركة التي باركها الله هذه الأرض المباركة، وجعلها فيها دائمة مستمرة مستقرة.

ولدى نظرتنا إلى ورود "باركنا" في القرآن، فإننا نقف على ملاحظة هامة، وهي: لقد حصرت آيات القرآن الفعل الماضي "باركنا" في الأرض المباركة فلسطين وما حولها.

ورد فعل "باركنا" ست مرات في القرآن، وهو في هذه المرات كلها، جاء إخباراً عن "الأرض المباركة"، وتقرير أن الله سبحانه هو الذي بارك فيها.

مجيء إبراهيم ولوط إلى فلسطين

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ (سورة الأنبياء: ٧١)

لقد كان إبراهيم عليه السلام في العراق، وقام هناك بواجبه في الدعوة إلى الله تعالى، ومواجهة قومه الكافرين، وتفنيد كفرهم وباطلهم، فقد دعا أباه إلى الله ،كما تخبر آيات سورة مريم، ودعا قومه إلى الله، وفنّد عبادة غير الله، كما تخبر آيات سورة الأنعام، ودعا الملك الظالم إلى الله، ولما رفض الإيمان تحداه بتغيير حركة الشمس ،كما تخبر آيات سورة البقرة.

ولما رفض قومه الإيمان، أراد إزالة الحاجز الذي يحول بينهم وبين الإيمان، وهي الأصنام والأوثان، التي يعتبرونها آلهة ،ويعبدونها من دون الله، فلما ذهبوا إلى عيدهم خارج المدينة، ذهب إلى أصنامهم فحطمها، ولما عرفوا أنه حطمها، حاكموه، وحكموا عليه بالحرق بالنار، ولما أشعلوا النار الكبيرة، وألقوه فيها، أنقذه الله منها، وجعلها برداً وسلاماً عليه، وخرج منها سليماً منصوراً ظافراً، كما تخبر آيات سورتي الأنبياء والصافات.

وبهذا وصلت الأمور بينهم وبينه إلى نقطة اللاعودة، فكان لا بد أن يفارقهم

ويخرج من بينهم، ويبحث عن بلاد جديدة، يقوم فيها بواجبه في الدعوة إلى الله.

فأعلن هجرته من بلده إلى ربه، وخرج بأهله المؤمنين، وكان لوط عليه السلام، ممن هاجر معه، قال تعالى: ﴿فآمن له لوط، وقال إني مهاجر إلى ربي، إنه هو العزيز الحكيم﴾ (سورة العنكبوت : ٢٦).

ولما هاجر -هو ولوط عليهما السلام- من العراق ،وجههما الله إلى "فلسطين"، ليستقرا عليها، ويقيما فيها، ويقوما بواجبهما في الدعوة إلى الله تعالى.

واستقر إبراهيم عليه السلام في منطقة بيت المقدس من الأرض المباركة، بينما وجه الله نبيه لوطاً عليه السلام إلى الشرق من بيت المقدس، ليكون نبياً عند القوم القاطنين شرق فلسطين ،والذين عُرفوا فيما بعد بقوم لوط.

هذه الأرض التي أقام فيها النبيان الكريمان -إبراهيم ولوط عليهما السلام- هي المقصودة بقوله تعالى في آية سورة الأنبياء: ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾

ذرية إبراهيم في فلسطين

قال الله تعالى عن إبراهيم وإسحاق عليهما السلام: ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ،وباركنا عليه وعلى إسحاق، ومن ذريتهما: محسن، وظالم لنفسه مبين﴾ (الصافات: ١١٢-١١٣)

أقام إبراهيم عليه السلام ،في بقعة من هذه الأرض المباركة، التي بارك الله فيها، وذهب مرة في زيارة إلى مصر، وجرت له مشكلة مع ملك مصر الظالم الفاجر، حيث أراد الاعتداء على زوجه سارة-رضي الله عنها-، ولكن الله حفظها وصانها وهي عند الملك، بمعجزة ربانية باهرة، جعلت ذلك الملك يكرم إبراهيم عليه السلام، ويعطيه "هاجر" رضي الله عنها - كما روى ذلك

البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- وعاد إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين ،وهناك ولدت "هاجر" ابنه "إسماعيل" النبي عليه السلام، وتوجه بهاجر وابنها إسماعيل إلى بلاد الحجاز، كما أمره الله عز وجل.

وعاد إلى مقر إقامته في الأرض المباركة، وهناك حملت زوجه سارة رضي الله عنها، وولدت له إبنه الآخر "إسحاق" عليه السلام.

وبارك الله على إبراهيم عليه السلام، المقيم في الأرض المباركة، كما بارك الله على ابنه إسحاق عليه السلام، المقيم أيضاً في الأرض المباركة: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾.

وأقام إسحاق عليه السلام في الأرض المباركة، بعد وفاة والده إبراهيم عليه السلام، وأقام بعده ابنه النبي "يعقوب" عليه السلام ،في الأرض المباركة فلسطين.

ولما هاجر يعقوب إلى ابنه يوسف عليهما السلام -حاكم مصر وقتها، أخذ معه أولاده، وأقاموا هناك في مصر.

وتوفي يعقوب وابنه يوسف، عليهما الصلاة والسلام، ومر قومهما بنو إسرائيل بعد ذلك بمرحلة الإضطهاد والتعذيب، على أيدي الفراعنة في مصر.

وطالت فترة اضطهاد بني إسرائيل في مصر ،على أيدي الفراعنة، إلى أن حقق الله مشيئته وإرادته بإنهاء اضطهادهم ،فبعث موسى عليه الصلاة والسلام نبياً، وأرسله إلى فرعون، وطلب منه أن يرسل معه بني إسرائيل ،وأن يسمح لهم بالخروج معه من مصر.

مجيء بني إسرائيل إلى فلسطين

قال الله تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون، مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ،وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما

صبروا، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه، وما كانوا يعرشون﴾ (سورة الأعراف: ١٣٧).

تخبرنا هذه الآية عن نهاية المواجهة بين موسى عليه السلام وقومه المؤمنين من بني إسرائيل من جهة، وبين فرعون وقومه من جهة أخرى، حيث أنجى الله موسى عليه السلام وأتباعه المؤمنين ،من فرعون وقومه، وجعلهم يعبرون البحر إلى الأرض المقدسة ،ولما لحق بهم فرعون وملؤه، أطبق عليهم البحر، وأغرقهم فيه.

وبذلك أورث الله موسى وقومه المؤمنين الذين كانوا مستضعفين في مصر، عند فرعون وملئه، الأرض التي باركها وبارك فيها سبحانه، وصاروا يتجولون بين مشارق هذه الأرض ومغاربها.

وجعل الله لأولئك القوم المؤمنين هذه الأرض المباركة، جائزة لهم على إيمانهم، وثمرة مباركة لجهادهم وصبرهم ،وثباتهم على الحق، ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها، التي باركنا فيها﴾.

وقد كان خط سير بني إسرائيل المؤمنين مع نبيهم موسى عليه السلام، بعد تيه جيلهم الخائف الجبان أربعين سنة في سيناء، كما تخبر آيات سورة المائدة، حيث سار موسى عليه السلام بقومه المؤمنين إلى جهة المشرق، لدخول فلسطين من جهة الشرق، شرق نهرالأردن.

ولكن جاء ملك الموت لموسى عليه السلام، قبل دخول القوم المؤمنين فلسطين المباركة، فتوفاه الله وقومه شرق نهر الأردن، وقبل أن يموت موسى عليه السلام طلب من ربه أن يدنيه من الأرض المباركة فلسطين، ويقربه منها بضربة حجر، كما روى ذلك البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى البخاري ،عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث طويل أنه قال: «. . . فسأل موسى الله أن يدنيه من

الأرض المقدسة رمية بحجر، فلو كنتُ ثَمّ لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر».

وقاد بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام "فتاه" يوشع بن نون -رضي الله عنه- ودخل بهم الأرض المباركة، من جهة المشرق، وحملوا معهم جثمان موسى عليه السلام، ودفنوه في الأرض المباركة ،إلى جانب الطريق ،تحت الكثيب الأحمر، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولعلّ هذه المنطقة هي الواقعة بين "أريحا" و"القدس" والمعروفة باسم الخان الأحمر.

مظاهر حكم سليمان في فلسطين

قوله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿ولسليمان الريح عاصفة، تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها، وكنا بكل شيء عالمين﴾ (سورة الأنبياء: ٨١).

استقر بنو إسرائيل المؤمنون في الأرض المباركة "فلسطين" وأقاموا فيها حكماً إسلامياً، على يديْ يوشع بن نون -رضي الله عنه- وخلفائه المؤمنين الصالحين.

وجدَّت لهم فيها أمور بعد ذلك، وحدثت منهم مخالفات، فعاقبهم الله، وسلط عليهم أعداءهم الكافرين، فهزموهم في الأرض المباركة، ثم عادوا إلى الله تعالى، ورغبوا في الجهاد، فاختار لهم من بينهم "طالوت" ملكاً ،وقادهم طالوت في حرب زعيم أعدائهم الكفار «جالوت»، وإنتهت الحرب بانتصار طالوت وجيشه المؤمن، على جالوت وجيشه الكافر، وجاءهم نصر الله في تلك المعركة.

وبرز من بين جيش طالوت -رضي الله عنه- شاب مؤمن مجاهد، هو "داود" عليه السلام، الذي هجم على الكافر "جالوت" وقتله. كما تخبرنا آيات سورة البقرة، في قصة طالوت وجالوت وداود.

وحكم داود بني إسرائيل بعد ملكهم طالوت، وأقام فيهم حكماً إسلامياً ربانياً عادلاً، وبعد وفاته ورثه ابنه سليمان - عليهما السلام- وأقام فيهم حكماً إسلامياً إيمانياً مباركاً.

ومكنّ الله للنبي الملك الداعية العادل سليمان عليه السلام في الأرض، وتوسع ملكه وسلطانه، وامتدت دولته خارج «الأرض المباركة» ووصلت إلى اليمن، حيث مملكة سبأ هناك ،واتصل سليمان عليه السلام بملكة سبأ ،ودعاها إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأصنام، وجرت له معها وقائع وتفصيلات، ذكرتها آيات سورة النمل، وانتهت بمجيء ملكة سبأ إليه، وإسلامها بين يديه، حيث قالت: ﴿ربِ إني ظلمتُ نفسي ،وأسلمت مع سليمان، لله رب العالمين﴾ (سورة النمل: ٤٤)

وسخر الله لسليمان عليه السلام ما لم يسخر لغيره، حيث ذلل له الجن، وحكّمه في الشياطين، وجعل الريح تحت أمره، تتحرك بمشيئته: ﴿فسخرنا له الريح ،تجري بأمره رخاء حيث أصاب ،والشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ (سورة ص: ٣٦-٣٨).

هذه الريح كانت تغدو بأمر سليمان عليه السلام في مدة شهر، وتروح وتعود في مدة شهر، وتتحرك في مختلف بقاع وأطراف مملكته الإسلامية، من فلسطين إلى اليمن: ﴿ولسليمان الريح، غدوها شهر، ورواحها شهر، وأسلنا له عين القطر﴾ (سورة سبأ: ١٢)

وقد أخبر الله في سورة الأنبياء، أن هذه الريح كانت تجري بأمر سليمان عليه السلام إلى الأرض المباركة فلسطين، التي بارك الله فيها ،وتحمل لها الرخاء والغيث والخصب والخير: ﴿ولسليمان الريح عاصفة، تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾

الصلة بين اليمن وفلسطين زمن سليمان

قوله تعالى عن الصلة بين سبأ وفلسطين: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها، قرى ظاهرة، وقدرنا فيها السير، سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين، فقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، وظلموا أنفسهم ،فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق، إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور﴾ (سورة سبأ: ١٨-١٩)

لقد نشأت صلة وثيقة ،بين مملكة سبأ في اليمن، وبين فلسطين الأرض المباركة، بعد ما أسلمت ملكة سبأ ،واتبعت سليمان عليه السلام، وأتته إلى مقره في فلسطين.

ويبدو أن مُلك سليمان وصل إلى سبأ في اليمن، وأنها كانت ضمن مملكته.

وقد أدى حكم سليمان لليمن ،إلى ازدهار الحياة بين فلسطين واليمن، وانتشار الخير والرخاء بينهما، وإنشاء القرى والتجمعات السكنية على الطريق، وبالذات شمال اليمن ،في منطقة عسير والحجاز.

ومعنى قوله: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة﴾

جعل الله قرى ظاهرة بارزة عامرة، آهلة بالسكان بين قوم سبأ في اليمن، وبين القرى التي بارك الله فيها. والقرى التي بارك الله فيها ،هي قرى ومدن فلسطين المباركة، التي كانت عامرة آهلة بالسكان، أثناء حكم سليمان عليه السلام.

وتسجل الآية آثار حكم سليمان لفلسطين واليمن، زمن مَلِكَة سبأ، وتبين مظاهر الخير والبركة والرخاء ،التي شملت المنطقة كلها نتيجة لحكمه ،حيث حكم البلاد بشرع الله، ومعلوم أن النماء والرخاء والبركة ملازمة للحكم بما أنزل الله، إلا إذا أراد الله الابتلاء بالضراء.

ولكن أهل سبأ في اليمن ظلموا أنفسهم ،بعد حكم سليمان عليه السلام، وعادوا إلى الكفر ،وكفروا بتلك النعمة والرخاء، فأوقع الله بهم عذابه،

وحرمهم ذلك الرخاء ودمر جناتهم وبساتينهم، وخرب قراهم وتجمعاتهم، ومزقهم شر ممزق، وجعلهم أحاديث. وزالت تلك القرى الظاهرة بين اليمن وبين الأرض المباركة في فلسطين، بسبب كفر أهلها، وهذه نتيجة لازمة لكل إقصاء لحكم الله، وحكم بغير ما أنزل الله.

الإسراء إلى فلسطين

قوله تعالى عن الإسراء إلى الأرض المباركة: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ،الذي باركنا حوله، لنريه من آياتنا ،إنه هو السميع البصير﴾ (الإسراء: ١)

هذه هي المرة الأخيرة -حسب التسلسل التاريخي- التي أخبر الله فيها عن فلسطين أرض الإسراء بأنها أرض مباركة.

لقد شاء الله الحكيم أن يعيش آخر المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام في بلاد الحجاز ،عند بيته المحرم في مكة، وأن يكون إسراؤه به من المسجد الحرام في مكة المكرمة، إلى المسجد الأقصى في الأرض المباركة ،تمهيداً لعروجه به إلى السموات العلى.

فكان الإسراء إلى الأرض المباركة ربطاً آخر بين البقعتين المباركتين في الحجاز وفلسطين، مكة والقدس، المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

لقد تم الارتباط بين البقعتين مرتين:

المرة الأولى: زمن سليمان عليه الصلاة والسلام، عندما جمع بين ملك فلسطين وملك اليمن، والحجاز وعسير، وكان هذا الربط ثمرة من ثمار الحكم الإسلامي الرباني، الذي أقامه سليمان عليه السلام، في كل من فلسطين واليمن. ولما تخلى اليهود ،بعد موت سليمان عليه السلام بفترة عن هدى الله، وكفروا وطغوا وبغوا، هم وكفار سبأ في اليمن، قطع الله بين البقعتين، ودمر القرى الظاهرة بينهما، ومزق قوم سبأ شر ممزق، وشرد اليهود من فلسطين، وشتتهم في الأرض.

المرة الثانية: لما أسرى الله برسوله صلى الله عليه وسلم إلى الأرض المباركة، لأنه خاتم المرسلين، ورسالته خاتمة الرسالات، وأمته خاتمة الأمم، أمة الشهادة والخلافة على العالمين، حتى قيام الساعة، والأمة الوارثة للدين والإيمان والإسلام، الذي جاء به الأنبياء السابقون، والأمة الوارثة للبركة والقداسة، وهي الامة الوارثة للأرض المباركة فلسطين، ورثتها من الأنبياء الكرام، إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وداود وسليمان، عليهم الصلاة والسلام.

وبوصول "إرث" الأرض المباركة، إلى هذه الأمة المباركة، عمت البركة الربانية هذه الأرض وما حولها: ﴿إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ وشملت كل البقعة المباركة، الممتدة ما بين النهرين: الفرات والنيل.

ولهذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذين النهرين -الفرات والنيل- ينبعان من الجنة، لما صعد إلى السماء السابعة في ليلة المعراج، أثناء رحلة الإسراء والمعراج.

ستة مظاهر تاريخية للبركة في فلسطين

بعد هذه الجولة السريعة مع العرض القرآني للأرض المباركة، نرى أن الله سبحانه قد بارك المسجد الأقصى وما حول المسجد الأقصى، وامتدت هذه البركة الربانية لتشمل البقعة الإسلامية الواقعة بين النهرين: الفرات والنيل.

لقد مرت "البركة" الربانية للأرض المباركة بعدة مراحل، أشارت آيات القرآن إلى ست مراحل تاريخية منها حاولنا ترتيبها تاريخياً، أثناء وقفتنا مع الايات الست التي تحدثت عنها:

١- هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى الأرض المباركة ،قادمين من العراق، كما أشارت آية سورة الأنبياء.

٢- البركة التي جعلها على إبراهيم وابنه إسحاق، عليهما وذريتهما الصالحة، عندما أقاما في الأرض المباركة، كما أشارت آية سورة الصافات.

٣- توريث الله لبني إسرائيل المؤمنين هذه الأرض المباركة ،زمن موسى عليه السلام كما أشارت آية سورة الأعراف.

٤- حكم سليمان عليه السلام لهذه الأرض المباركة، وانتشار الخير والنماء فيها، كما أشارت آية سورة الأنبياء.

٥- انتشار القرى الظاهرة العامرة بين هذه الأرض المباركة وبين اليمن، أثناء حكم سليمان عليه السلام، مظهرٌ من مظاهر الحكم بشرع الله، كما أشارت آية سورة سبأ.

٦- انتهاء هذه الأرض المباركة للأمة المسلمة، واستقرارها لها، ووراثة الأمة لحكمها، بعد هذه الجولة التاريخية الطويلة، وبقاؤها فيها حتى قيام الساعة -باستثناء فترات تاريخية قصيرة- كما أشارت آية سورة الإسراء.

دلالات ولطائف من الآيات

وعندما ننظر في الآيات السابقة، فإننا نستخلص منها بعض الدلالات والإشارات، واللطائف والايحاءات، منها:

١- أن فعل "باركنا" في الآيات الست كلها، مسند إلى الله سبحانه، أي أن الذي بارك هذه الأرض المباركة هو الله.

٢- أن فعل "باركنا" في الآيات الست مطلق، غير مقيد، ولا محدد بزمن أو نوع، وهذا يدل على أن البركة الربانية لهذه الأرض المباركة مطلقةٌ غير محددة ولا مقيدة ،وهي شامله لكل أنواع البركة.

ومن مظاهر هذه البركة الربانية: البركة الإيمانية ، والبركة الأخلاقية ، والبركة التاريخية، والبركة السياسية ، والبركة الاقتصادية ،والبركة الاجتماعية، والبركة الجهادية، والبركة الحضارية ، والبركة المستقبلية. . . . وغير ذلك.

٣- التعبير عن البركة الربانية بالفعل الماضي "باركنا" يدل على ثبوت وإستقرار البركة الربانية لهذه الأرض ،لأن الفعل الماضي يفيد الثبات

والإستقرار، فالله سبحانه قد شاء استقرار البركة في هذه الأرض، وجعلها ثابتة فيها.

ولهذا ستبقى هذه البركة الشاملة مستقرة فيها، على اختلاف فترات التاريخ، ولن ينجح الأعداء في انتزاعها وتفريغها منها، مهما بذلوا من جهود في ذلك، وستبقى لها هذه البركة حتى قيام الساعة.

لن يزيل بركة الأرض المباركة فترات خاصة قصيرة من التاريخ، يأذن الله فيها بسيطرة كفار على هذه الأرض وحكمهم لها، ثم يأذن بدحرهم عنها، كما حصل للصليبيين في الماضي، وكما يحصل لليهود الآن، فإن بركة الأرض في هذه المرحلة ،تكون في إحياء الإيمان في قلوب المسلمين، وإيقاظ روح الجهاد والتحدي فيهم، وتجميعهم على الجهاد لدحر الكفار وطردهم ،وهذه بركة جهادية ملحوظة.

بركة مكان وزمان وإنسان

٤- البركة المذكورة في الآيات الست، أحياناً تكون للأرض المباركة فلسطين، حيث ذكرت "باركنا فيها" أربع مرات ،وأحياناً تكون لمن يسكن هذه الأرض المباركة من الأنبياء والصالحين، وعندها تكون البركة على ذلك الساكن، كما قال الله عن إبراهيم وابنه عليهما السلام: "وباركنا عليه وعلى إسحاق".

و"باركنا حوله" يفيد أن البركة تتوسع وتشع في دوائر حول المسجد الأقصى، وتتعدد هذه الدوائر وتكبر، فنواة البركة ومحورها هو المسجد الأقصى وبيت المقدس ،ودوائر هذه البركة متلاحقة لتشمل كل الأرض المباركة، الواقعة ما بين الفرات والنيل.

وهذا معناه أن البركة الربانية للأرض أولاً "باركنا" ثم لساكن هذه الأرض ثانياً "باركنا عليه"، ثم للأماكن حول هذه الأرض "باركنا حوله" أي: هي

بركة مكان ،وبركة زمان، وبركة إنسان.

بركة الإنسان مقيدة بالإيمان

٥- إذا كانت بركة الزمان والمكان مطلقة من خلال الآيات، فإن بركة الإنسان -المقيم في هذه الأرض- ليست مطلقة، بل تبين الآيات أن "بركة الإنسان مقيدة بقيود،ومشروطة بشروط:

فبركة الله على إبراهيم وإسحاق عليهما السلام الساكنين في هذه الأرض لأنهما نبيان كريمان، عليهما الصلاة والسلام، ولما تكلمت الآيات عن ذريتهما، قسمتها إلى قسمين: "وباركنا عليه وعلى إسحاق، ومن ذريتهما محسن، وظالم لنفسه مبين".

فنسلهما المؤمن المحسن مبارك، وهم المؤمنون الصالحون من بني إسرائيل، في التاريخ القديم، وهم أنبياؤهم كموسى وهارون وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم من المؤمنين الصالحين.ونسلهما الظالم لنفسه المبين، غير مبارك، وهم الأجيال السيئة من اليهود، والأحفاد الكافرون، الذين طغوا وبغوا وظلموا ،فنزع الله عنهم بركته، وأوقع بهم لعنته.ولما كانوا مقيمين في الأرض المباركة أخرجهم منها، وشتتهم في بقاع الدنيا.

هي بركة للعالمين

٦- تخبرنا الآيات أن البركة الربانية في الأرض المباركة، ليست إقليمية ولا عنصرية ولا طائفية، فليست لقوم، أو مجموعة، أو أمة، وإنما جعلها الله عامة للعالمين: "الأرض التي باركنا فيها للعالمين".

والعالمون هم الناس جميعاً، على اختلاف الزمان والمكان، في أي بقعة من بقاع الأرض.

وكون البركة في الأرض المباركة للعالمين ،رد قرآني واضح على دعاوى اليهود العنصرية ،في أن الله جعل هذه الأرض المباركة لهم وحدهم، منذ

إبراهيم الخليل عليه السلام، وحتى قيام الساعة ،كما تذكر نصوص التوراة المحرفة، أن الله قال لإبراهيم عليه السلام: هذه الأرض لك، ولبنيك، حتى قيام الساعة.

كما أن هذا البيان القرآني: "باركنا فيها للعالمين" رد على دعاوى أصحاب النظرة الضيقة المتعصبة من الفلسطينيين ،الذين ينظرون إلى الأرض المباركة نظرة إقليمية، فيجعلونها قضية فلسطينية محضة ،لا شأن للآخرين بها، ومن يوسع منهم أفقه يجعلها نظرة قومية عربية ضيقة أيضاً، تهم العرب وحدهم.

إن فلسطين قضية إسلامية عالمية تهم كل مسلم أينما كان، ويعتبرها قضيته الأولى، وشغله الشاغل ،لأنها مرتبطة بالعقيدة الإسلامية، التي هي واحدة عند كل مسلم أينما كان..

هذه ست دلالات ولطائف من الآيات الست، التي تحدثت عن البركة الربانية في هذه الأرض المباركة ،وهناك دلالات ولطائف وإيحاءات أخرى تشملها هذه الآيات ،نترك للقراء المتدبرين الكرام تدبرها وملاحظتها ، ليتدبروا معنا آيات كتاب الله الكريم.

الفصل الثاني

الأرض المقدسة في القرآن

آيات التقديس في القرآن

وردت مادة "قدَّس" في القرآن عشر مرات:

١- الفعل المضارع "نقدِّس" ورد مرة واحدة ،في اعتراف الملائكة بأنهم دائماً مشغولون بتسبيح الله وتقديسه: ﴿قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبِّح بحمدك، ونقدِّس لك﴾ (سورة البقرة: ٣٠)

جبريل هو روح القدس

٢- "روح القُدُس" ورد أربع مرات، وصفاً لجبريل عليه السلام.

ثلاث مرات منها ،في بيان إنزال الله سبحانه للروح القُدُس جبريل عليه السلام، على عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، تأييداً له:

أ- قوله تعالى: ﴿وآتينا عيسى بن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس﴾ (سورة البقرة:٨٧)

ب- قوله تعالى: ﴿وآتينا عيسى بن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس﴾ (سورة البقرة: ٢٥٣)

جـ- قوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك: إذ أيدتك بروح القدس، تكلم الناس في المهد وكهلاً﴾ (سورة المائدة: ١١٠)

د- والمرة الرابعة: أشارت إلى حمل الروح القُدُس عليه السلام للقرآن الكريم، وإنزاله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ،ليثبِّتَ الذين آمنوا، وهدىً وبشرى للمسلمين﴾ (سورة النحل: ١٠٢)

ونلاحظ أن الكلام عن جبريل عليه السلام بوصف "الروح القدس" لم يرد إلا في إنزاله لكتابين من كتب الله : "الإنجيل" و"القرآن"، على نبيين من أنبياء الله: "عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام".

مع أنَّ جبريل الروح القدس، هو الذي أبلغ النبوة الى كل أنبياء الله السابقين، وأنزل عليهم كلام الله، فلماذا وُصف بالروح القدس في الكلام على النبيين عيسى ومحمد عليهما السلام . وإنزال الكتابين: الإنجيل والقرآن؟

أرى أن هذا ردٌ على اليهود الكافرين، فاليهود كفروا بالنبيين الكريمين: عيسى ومحمد عليهما السلام، وآمنوا بمن سبقهما من الأنبياء وكفروا بالكتابين الربانيين: القرآن والإنجيل، وآمنوا بما سبقهما من كتب الله.

وكأن هذه الآيات الأربع في "الروح القُدُس" تنزع القداسة والطهارة عن هؤلاء اليهود، لكفرهم بالنبيين والكتابين، وتثبت لهم بسبب ذلك الكفر الدنس والرجس النجس، وتجردهم من الطهر والخير والبركة.

فجبريل عليه السلام، هو الروح القُدُس، نزل بكتابين مقدسين من عند الله: الإنجيل والقرآن، كلهما طهارة وقداسة، على نبيين طاهرين مقدسين عيسى ومحمد عليهما السلام، وذلك ليقدس نفوسنا بهما ويطهرها ويباركها.

فمن آمن بهذين النبيين والكتابين معاً فهو طاهر مقدس، ومن كفر بالنبيين والكتابين فهو رجس دنس نجس، فاليهود الكفار مجردون من الطهارة والقداسة.

الله هو القدّوس

٣- "القدوس" ورد مرتين باعتباره اسماً من أسماء الله سبحانه وتعالى، وردا في سورتين مدنيتين، كل منهما تتكلم عن اليهود، وعن الصراع بين المسلمين واليهود.

أ- قال تعالى في سورة الحشر: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو، الملك

القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون﴾. (سورة الحشر: ٢٣)

ب- قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض، الملك القدوس العزيز الحكيم﴾ (سورة الجمعة : ١)

وسورة الحشر تتحدث عن أول الحشر ،أي :أول المراحل الزمنية للصراع الدائم الطويل بين المسلمين وبين اليهود، وهي التي بدأت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث أشارت السورة إلى إخراج يهود بني النضير من المدينة.

فالله القدوس هو الذي نصر هذه الأمة الطيبة الطاهرة على أعدائها، من يهود بني النضير.

وسورة الجمعة تتحدث عن صلاة الجمعة، الواجبة على المسلمين، والتي تقود إلى طهارتهم وخيرهم، كما تتحدث عن "نجاسة" اليهود ، عندما رفضوا الإلتزام بالتوراة كتاب الله، فتشبههم بالحمار: ﴿مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها، كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾(سورة الجمعة: ٥)

فليس مصادفة أن يُذكر اسم الله "القدوس" في هاتين السورتين، اللتين تتحدثان عن المواجهة بين أمة محمد المباركة ،التي طهرها الله، وبين اليهود الأنجاس.

و"القدوس" صيغة مبالغة، من القداسة والطهارة، فالله القدوس، المنزه عن كل نقص، وهو وحده مانح الطهارة والقداسة لما شاء من الأراضي والبقاع، ولمن شاء من الخلق والناس.

طُوى هو الوادي المقدس

٤- "المقدّس" إسم المفعول من القداسة، ورد مرتين في قصة موسى عليه السلام ،عندما ناداه الله وهوعائد من مَدْيَن إلى مصر، وكلفه بالذهاب إلى فرعون:

أ- قال تعالى: ﴿فلما أتاها نودي يا موسى. إني أنا ربك فاخلع نعليك، إنك بالواد المقدس طوى﴾ (سورة طه: ١١- ١٢)

ب- قال تعالى: ﴿هل أتاك حديث موسى، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى، إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ (سورة النازعات: ١٥-١٧)

وهذا الوادي المقدس ،الذي نادى الله موسى فيه ،في سيناء، إسمه وادي طوى -لأن طوى في الآيتين بَدَلٌ من الواد-.

وهو الذي قال الله عنه: ﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن، في البقعة المباركة من الشجرة: أن يا موسى: إني أنا الله رب العالمين﴾(سورة القصص: ٣٠).

ونلاحظ أن القرآن وصف الوادي والبقعة بصفتي القداسة والبركة، فالواد هو "الواد المقدس"، والبقعة التي فيه، هي البقعة المباركة.

والمقدّس صفة الوادي وهو اسم مفعول، وهو مأخوذ من القداسة والطهارة، والذي قدسه وطهره هو الله سبحانه. و"المباركة" صفة البقعة التي في الوادي، وهي اسم مفعول من البركة والنماء، والذي باركها وأقرَّ الخير فيها هو الله سبحانه.

وهذا معناه أن أرض سيناء أرض مباركة ومقدسة بنص هذه الآيات، وهي جزء من الأرض المباركة المقدسة، الواقعة ما بين النهرين الإسلاميين : الفرات والنيل.

الأرض المقدسة ما بين النيل والفرات

٥- الأرض المقدسة :اسم مفعول من القداسة، صفة للأرض المباركة، وردت مرة واحدة، في قصة موسى عليه السلام، عندما خرج ببني إسرائيل من مصر، وأقاموا فترة في سيناء، فأمرهم بدخول فلسطين، فرفضوا وجبنوا عن الجهاد، فكتب الله عليهم "التيه" في الصحراء أربعين سنة ،حتى نشأ جيل

جديد على الجهاد، فقادهم موسى عليه السلام ،ودخل بهم خليفته "يوشع بن نون" الأرض المقدسة.

ورد هذا الكلام في آيات سورة المائدة، قصة "تيه" بني إسرائيل في الآيات من سورة المائدة (١٩-٢٦).

والذي يستوقفنا منها الآن قوله تعالى: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، ولا ترتدوا على أدباركم، فتنقلبوا خاسرين﴾ (المائدة: ٢١).

والأرض المقدسة التي أمرهم موسى عليه السلام بدخولها، هي فلسطين، حيث كانوا مقيمين في صحراء سيناء وقتها.

ومعنى قوله: ﴿ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾ أن الله كتبها وجعلها لذلك الجيل المؤمن من بني إسرائيل، كتبها الله له لإيمانه وطاعته لله، وليس لأنه من نسل إبراهيم عليه السلام، فكتابة الله الأرض المقدسة لبني إسرائل زمن موسى عليه السلام، كتابة خاصة، في زمن خاص، لجيل خاص، لعلة خاصة، وليست كتابة أبدية عامة "جنسية" لليهود باعتبارهم يهوداً ،حتى قيام الساعة، كما يزعم يهود هذا الزمان.

لقد كتب الله الأرض المقدسة فلسطين لذلك الجيل المؤمن من بني إسرائيل، لإيمانهم وفضلهم على الكافرين، الذين كانوا في زمانهم ،ومكّنهم من دخولها على يد "يوشع بن نون"، ونصرهم على أعدائهم الكافرين، وأقاموا في فلسطين معززين مكرمين ،إلى حين.

فلما جاءت أجيال جديدة منهم، وخالفت شرط الإستخلاف، ونقضت عهد الله، وكفرت وبغت، أوقع الله بها لعنته وسخطه، ونزع الأرض المقدسة منهم وكتب عليهم الشتات والضياع في بقاع الأرض، بمفهومها العام، كما قال الله: ﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، إن ربك لشديد العقاب ،وإنه لغفور رحيم، وقطعناهم في الأرض أمماً﴾ (سورة الأعراف: ١٦٧-١٦٨).

و"المقدسة" اسم مفعول، يدل على أن الله سبحانه هو الذي قدس هذه الأرض وطهرها.

دلالات من آيات التقديس

من أهم الدلالات واللطائف التي نلحظها من المرات العشر لورود مادة "قدس" في القرآن:

١- "روح القدس" هو جبريل عليه السلام، وهو حامل كتب الله، التي تحقق القداسة والطهارة للإنسان، ومبلغها إلى رسل الله.

٢- وردت "روح القدس" أربع مرات، إشارة إلى نبيين طاهرين: عيسى ومحمد عليهما السلام، وكتابين مقدسين: الإنجيل والقرآن ،وهذا يعني أن من كفر بالنبيين والكتابين فهو نجس ورجس.

٣- الله هو القدوس، المنزه عن كل نقص، الذي يمنح الطهارة لمن شاء من عباده الطاهرين، ويضفي القداسة على من شاء من البقاع المقدسة.

وورود "القدوس" في سورتين، تتحدثان عن الصراع بين المسلمين الطاهرين، واليهود الانجاس، يوحي أن الله قد طهر وربى وزكى المؤمنين، وهو ناصرهم على أعدائهم اليهود الأنجاس.

٤- ورد اسم المفعول "المقدس" صفة لواد "طوى" في سيناء، والتعبير باسم المفعول ،يوحي أن الله هو الذي قدس وطهر هذا الوادي ،وهذا الوادي يجب أن يبقى مطهراً من نجاسة الشرك والكفر.

٥- وردت الصفة المؤنثة "المقدسة" بصيغة اسم المفعول المؤنث "الأرض المقدسة" وأطلقت على فلسطين، وهذا يوحي أن الله هو الذي "قدس" هذه الأرض وطهرها ،بأن جعلها أرض توحيد وإيمان ،وأوجب على المسلمين تطهيرها من نجاسة الكفر، ودنس الشرك.

٦- وصف الواد المقدس والأرض المقدسة بالقداسة، بصيغة اسم المفعول،

يوحي أن "قداسة" وطهارة المكان، إنما هي بأمر الله ،فالله هو الذي شاء وأراد سبحانه جعل هذا المكان مقدساً ،وهذه الأرض مقدسة ،وهي الأرض الواقعة بين النهرين الإسلاميين: النيل والفرات.

٧- ليس المراد بتقديس الأرض المقدسة، طهارتها من النجاسات المادية المعروفة في الفقه الإسلامي -كالبول والغائط والدم- لأنها لا بد أن تنتج عن حياة البشر ،الذين يعيشون في هذه الأرض، عندما يأكلون ويشربون، وتزول هذه النجاسات المادية بالماء، وتطهر الأرض منها بالماء. ولكن المراد بتقديس هذه الأرض، طهارتها من النجاسات المعنوية، المتمثلة في الأفكار والآراء والعقائد الباطلة، التي يدين بها الكفار والمشركون، لا سيما أن نجاسة المشركين قد وردت بهذا المعنى في القرآن، حيث بين الله أن نجاستهم هي نجاسة عقول وأفكار وتصورات وآراء: ﴿يا أيها الذين آمنوا: إنما المشركون نجس، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ (سورة التوبة: ٢٨).

إن هذه الأَرض المقدسة، يجب أن يطهرها المسلمون من نجاسة الكفر، التي يوقعها عليها اليهود الأنجاس، ولن يكون التطهير الإيماني إلا بالجهاد الحق في سبيل الله.

٨- وصف هذه الأرض بصفة القداسة دون باقي البلاد، وورود هذا الوصف في كتاب الله ،دليل على أن هذه الأرض هي عنوان القداسة والطهارة، وهي رائدة هذه القداسة والطهارة الى سائر البلدان، باستثناء الأرض الشريفة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

فالطهارة والقداسة تنطلق منها، وتشع منها، لتعم مختلف المناطق، وألحظ حكمة لطيفة من كلمة "القُدْس" حيث ترد دائماً بتسكين الدال، فتسكين حرف الدال فيها ،يعني استقرار القداسة والطهارة في "القُدْس الشريف"، لأن حركة "السكون" توحي بالثبات والاستقرار ،دون سائر الحركات كالفتحة والضمة والكسرة.

فلسطين: أرض البركة والقداسة

نقف في ختام كلامنا عن "الأرض المباركة" و"الأرض المقدسة" في القرآن لنشير إلى هذه الخلاصة القرآنية الهامة، في هذه النقاط:

١- الأرض المباركة في القرآن هي أرض الرباط والجهاد والتحدي والحسم، وهي الواقعة ما بين الفرات والنيل.

٢- والأرض المقدسة في القرآن هي هذه الأرض نفسها.

٣- وقد سكن هذه الأرض المباركة المقدسة في الماضي أجيال مؤمنة من بني إسرائيل ،وأقاموا عليها حكماً إسلامياً مباركاً، زمن يوشع بن نون، وطالوت، وزمن داود وسليمان عليهما السلام.

٤- أخرج الله الأحفاد الكافرة لتلك الأجيال المؤمنة، من هذه الأرض المباركة المقدسة، والذين سموا باسم "اليهود"، وقطعهم في بقاع الأرض المختلفة بسبب كفرهم وبغيهم.

٥- جعل الله هذه الأرض المباركة المقدسة، لأطهر وأقدس أمة، التي تحمل أطهر وأقدس رسالة، وهي أمة محمد صلى الله عليه وسلم ،حاملة الإسلام للعالم، وجعل هذه الأرض لها، حتى قيام الساعة.

٦- أوجب الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الوقوف أمام أطماع اليهود الأنجاس، في هذه الأرض المقدسة المباركة، وذلك بجهادهم وقتالهم، وتطهير هذه الأرض من رجسهم ودنسهم.

٧- إن فلسطين هي أرض البركة والقداسة ،وإن ما حولها من الأرض والواقعة ما بين الفرات والنيل ،هي أرض البركة والقداسة، وهي أرض إسلامية تنشر الإسلام في باقي الأراضي، وتقدم الطهر والخير إلى باقي البلدان.

هذه هي طبيعة "أرضنا" وهذه هي صفتها التي جعلها الله لها، فهل يلومنا أحد في محبتنا وعشقنا لها؟وهل نخطيء إذا ربطناها بعقيدتنا؟ وهل يمكن أن نفرط بشبر مبارك مقدس منها؟ وهل نستكثر عليها جهادنا لأعدائها، واستشهادنا على ثراها المبارك الطهور؟؟

الفصل الثالث

فلسطين إسلامية منذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام

يزعم اليهود أن لهم حقاً تاريخيا ثابتاً في فلسطين، وأن مجيئهم إلى فلسطين في العصر الحديث مطالبة بذلك الحق، وتحقيق له.

ويزعمون أن الله قد أعطى فلسطين -وما حولها- لأبيهم إبراهيم، وأبيهم يعقوب... عليهما السلام، أعطاها لهما ولأبنائهما، ولذريتهما، وللنسل اليهودي حتى يوم القيامة.

ويوهمون الآخرين -وبخاصة الشعوب الغربية النصرانية- أن فلسطين يهودية إسرائيلية منذ أبيهم إبراهيم -عليه السلام- وأن الفتح الإسلامي لها ما هو إلا عدوان من المسلمين عليها ،وعلى أصحابها الشرعيين اليهود، وأنه فترة عرضية باطلة، وأن تملك المسلمين لها وإقامتهم فيها، احتلال واستعمار لها، وأن هؤلاء اليهود الآن يريدون تحرير فلسطين من احتلال المسلمين ،وإعادة الحق إلى أهله.

ويصدق كثيرون -وبخاصة في بلاد الغرب- هذه المزاعم والادعاءات، والأوهام والإسرائيليات، فيدعمون اليهود دعماً كبيراً في كل شيء، في المال والرجال، والعتاد والتأييد والإعلام.

يجب علينا نحن المسلمين أن نتزود بالعلم والمعرفة ،والاطلاع والثقافة، لنفند تلك الإسرائيليات والإدعاءات، ونُزيل الغشاوة عن عيون الغربيين والشرقيين، ونقدم لهم الحقيقة بينة واضحة.

حقائق القرآن ضد أباطيل اليهود

إن القرآن الكريم الحبيب، يقدم لنا حقائق أساسية واضحة، وأسساً فكرية

ثابتة، وزاداً علمياً ثقافياً غزيراً،وحججاً بينة مقنعة، كيف لا وهو كلام الله العزيز الحكيم، الذي لا تنقضي عجائبه،ولا تبطل حججه، ولا تنقض حقائقه، ولا تستنفد كنوزه، ولا يتوقف عطاؤه.

وقد أمرنا الله أن نواجه الكفار عموماً -واليهود خصوصاً- بحقائق هذا القرآن،وأن نُبطل أباطيلهم ومزاعمهم بتقريراته وبياناته،وأن نجاهدهم به جهاداً شاملاً، جهاداً إعلامياً علمياً، ثقافياً سياسياً دولياً، فقال تعالى: ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾ (سورة الفرقان: ٥٢)

أي: جاهد الكفار بآيات وحقائق القرآن، لأن من أقبل على القرآن بهدف التزوّد بالعلم والمعرفة والثقافة،فسيجد فيه ما يريد وزيادة،ومن استوعب حقائق القرآن،فسيكون ناجحاً موفقاً في تفنيد أدلة الأعداء.

القرآن يأمرنا أن نجاهد الأعداء به، وقومٌ من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا،يعادون هذا القرآن، ويجاهدونه هو جهاداً كبيراً، ويستعينون بأعدائه في جهادهم له، وهم فاشلون فاشلون!!

إنه لا يبطل أباطيل اليهود إلا حجج القرآن، ولا يفند مزاعم وإسرائيليات اليهود إلا حقائق القرآن،ولا يبدد ظلام دعايات اليهود إلا أنوار القرآن.

وياليت الفلسطينيين والعرب والمسلمين،يقبلون على التقريرات القرآنية، ويا ليت الإعلامين والسياسيين والدبلوماسيين والكتاب والمؤلفين والصحفيين منهم، ينطلقون من الحقائق القرآنية،ويخاطبون العالم الغربي والضمير العام العالمي والأسرة الدولية، بهذا المنطق القرآني الواضح المقنع، إنهم لو فعلوا ذلك لكانوا ناجحين موفقين.

هجرة إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين

يقرر القرآن أن إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- قد هاجر من بلاد العراق إلى فلسطين، وذلك بعدما قدم هناك أعمالاً عظيمة في الدعوة إلى

الله، ومواجهة أعداء الله، الذين لم يستجيبوا له، وأصروا على كفرهم، وألقوه في النار بهدف القضاء عليه، فأنجاه الله منها، ووجّهه مع أهله المؤمنين إلى فلسطين -الأرض المباركة-.

قال تعالى: ﴿فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي، إنه هو العزيز الحكيم﴾ (سورة العنكبوت: ٢٦)

وقال تعالى: ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين، ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة، وكلاً جعلنا صالحين﴾ (سورة الأنبياء: ٧١-٧٢)

لعل إبراهيم -عليه السلام- أول من هاجر في سبيل الله، وقد قدِم إلى فلسطين بأمر الله، حيث وجّهه الله إليها، ليدعو إلى الله فيها، ويقيم بيوتاً لله عليها.

ويصرح القرآن بأن فلسطين هي الأرض﴿ التي باركنا فيها للعالمين﴾، والبركة الربانية في فلسطين عامة، شاملة لكل مجالات البركة، إنها بركة إيمانية واقتصادية وسياسية وعالمية وحضارية وجهادية.

ويقرر القرآن أن هذه البركة الربانية الشاملة في فلسطين، للعالمين، وفي هذا رد على أباطيل وإسرائيليات اليهود، الذين يجعلون بركة الرب في فلسطين خاصة بهم، ومقصورة عليهم.

إنها بركة للعالمين جميعاً، ففلسطين المسلمة المباركة، تقدم بركتها ودروسها ودلالاتها وحقائقها وأنوارها وإشعاعاتها للعالمين كلهم.

أليست مشكلة فلسطين المعاصرة هي المشكلة الأولى في العالم الآن؟ أليست هي أكثر مناطق العالم خطراً وسخونة وغلياناً؟ أليست هي التي تهدد السلام العام العالمي، وتنذر بنشوب حرب عالمية مدمرة؟ باعتراف المحللين والمراقبين الدوليين!!

وأعتقد جازماً أن المشكلة اليهودية هي المشكلة العالمية، وأن اليهود هم أعداء

البشرية والإنسانية، وأنهم يعتبرون كل الأمم والأقوام والشعوب -المسيحية والمسلمة والوثنية واللادينية- خدماً وعبيداً لهم، وأن هؤلاء اليهود عقدة مستعصية على الحل، وأن العالمين عانوا منها كثيراً، وسيعانون منها أكثر في المستقبل.

فإذا كان الله أخبرنا -في الآيات والأحاديث- أنه سيأتي باليهود إلى فلسطين لفيفاً، وسيجمعهم فيها جميعاً، تمهيداً لقضاء المسلمين عليهم، فإن هذا مظهر بارز من مظاهر بركة فلسطين العالمية للعالمين، فهي التي سوف تُزيل عن صدرالعالمين ذلك الكابوس اليهودي الثقيل، وتُحلُ لهم تلك العقدة اليهودية المستعصية، وهي بحق "الأرض التي باركنا فيها للعالمين".

عهد الله لإبراهيم وبنيه المؤمنين

بعد إقامة إبراهيم -عليه السلام- في فلسطين، ونصرته لدين الله، ونجاحه في الدعوة إلى الله،أخبره الله بأنه جعله للناس إماماً، فاستفسر عن نصيب أولاده وذريته، فأخبره الله بأن المؤمنين ينالون ذلك، أما الظالمون منهم فهم محرومون منه.

قال تعالى: ﴿وإذ ابتلى ابراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً،قال ومن ذريتي،قال: لا ينال عهدي الظالمين﴾ (سورة البقرة: ١٢٤)

إبراهيم عليه السلام إمام للناس، وأبناؤه الصالحون أئمة للناس، وذريته المؤمنة قائدة وهادية للناس، وهذا الموكب الكريم تشرف بحمل أمانة الله، ونصرة دين الله، وأداء واجب الدعوة إلى الله، والإقامة الميمونة في الأرض التي باركها الله -فلسطين- والتنعم برضا الله.

هذا وعدُ الله لهم، وهذا عهدُه الذي قطعه لهم، وأخبرهم به.

وأما الكافرون الظالمون من ذرية إبراهيم -عليه السلام- فهم محرومون من هذه النعم الربانية، بسبب كفرهم وظلمهم وعدوانهم، إنهم لا يستحقون وعد

الله، ولا يشملهم عهد الله، فلا ينالهم ذلك العهد. قال: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾.

وندعو إلى تذَوُّق هذه اللطيفة القرآنية في قوله ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ حيث جاء "عهدي" فاعلاً للفعل "ينال" وجاء "الظالمين" مفعولاً به، ومعنى "ينال" يصل، والمعنى: لا يصل عهدي -الذي أعطيتهُ لإبراهيم وبنيه المؤمنين- إلى الظالمين من ذريته، ولا ينتقل إليهم عن طريق الوراثة النّسبية، ولا يدركهم، ولا يشملهم!

أي أن عهدَ الله لا يورثُ كما تورَثُ الممتلكات العينية، ولا ينتقل من الآباء إلى الأولاد كما تنتقل الأموال.

المرشّحون للتكريم بالاستمتاع بعهد الله هم المؤمنون الصالحون من بني إبراهيم وذريته -عليه السلام-، فهم الذين ينالهم عهد الله، وينتقل إليهم، ويكون لهم.

فهل اليهود ذرية مؤمنون صالحون؟ أم هم خَلْفٌ كافرون فاسقون ظالمون؟ إنهم ليسوا مؤمنين ولا صالحين، بل كافرون ظالمون، ولذلك فهم محرومون من ذلك العهد الرباني، لأن الله أخبر جدهم إبراهيم-عليه السلام- بقوله "لا ينال عهدي الظالمين".

فلسطين إسلامية منذ عهد إبراهيم "عليه السلام"

يبدو لنا -مما سبق- أن فلسطين أرض إسلامية منذ آلاف السنين، أرض مباركة، بارك الله فيها للعالمين، أرض وجّهَ اللهُ إليها خليله إبراهيم -عليه السلام- وجعلها له، ولأبنائه المؤمنين، وذريته الصالحين.

ولذلك كتبها الله لذرية إبراهيم من بني إسرائيل، لما كانوا مؤمنين، وجعلهم يقيمون فيها بعد وفاة موسى - عليه السلام.

ولم يشكر أحفاد هؤلاء ربهم،فلم يعبدوه ولم يؤمنوا به، بل صاروا كافرين ظالمين.

فلما فعلوا ذلك صاروا يهوداً عنصريين، وجعلوا فلسطين أرضاً يهودية عنصرية، ومارسوا عليها كفرهم وبغيهم وظلمهم.

وبذلك فقدوا شرط الاستخلاف والإمامة في هذه الأرض المباركة، فكتب الله عليهم الخروج منها، والتفرق في أرض "الشتات".

وأعاد الله فلسطين وما حولها، إلى ذرية إبراهيم المسلمين المؤمنين، وأعاد لها وجهها الإسلامي المشرق، وجعلها لهذه الأمة المسلمة،الوارثة لدين وعهد ووعد إبراهيم عليه السلام.

الفصل الرابع

إبراهيم -عليه السلام- هو باني الكعبة والأقصى

إبراهيم - عليه السلام - أمة

أخبرنا الله في القرآن أنه جعل إبراهيم عليه السلام «إماماً» للناس، فقال تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن. قال: إني جاعلك للناس إماماً﴾ (سورة البقرة: ١٢٤)

كما أخبرنا أن إبراهيم -عليه السلام- أمةٌ وحده، فقال: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً، ولم يك من المشركين﴾ (سورة النحل: ١٢٠)

رجل واحد، اعتبره القرآن أمة! كيف؟

أمة: لأنه على الحق. وقد قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «أن تكون على الحق ولو كنت وحدك».

أمة: لأنه كان يدعو الناس إلى الله، وقد قال ابن مسعود أيضاً: «كان إبراهيم أمة: لأنه كان يعلم الناس الخير».

أمة: لأنه إمام للناس -بنص آية سورة البقرة السابقة- ولهذا قال قتادة: «كان إبراهيم أمة. أي كان إماماً يُقتدى به. وتُتَّبَعُ سنته».

أمة: لأن جهوده في الدعوة إلى الله، كجهود أمة بحالها، مع أنه شخص واحد.

أمة: لأنه ترك آثاراً بارزة واضحة، في الدعوة إلى الله، حتى قيام الساعة.

أمة: لأنه أبو الأنبياء، وأبو المسلمين، وأبو المتقين، إلى يوم الدين.

وصدق القائل:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً   إلى المجد، حتى عُدَّ ألف بواحدِ

كان إبراهيم -عليه السلام- أمة في الايمان، وفي الالتزام، وفي الدعوة، وفي الجهاد، وفي الثبات، وفي العلم، وفي كل شيء.

جعل حياته كلها وقفاً على دينه ودعوته، فهو داعية إلى دين الله أينما حل.

داعية إلى الله، عندما كان في موطنه الأصلي "العراق"، وداعية إلى الله، عندما هاجر بدينه إلى ربه، وتوجه إلى بلاد الشام، وداعية إلى الله، عندما أقام في الأرض المباركة «فلسطين»، وداعية إلى الله، عندما توجه مع زوجته سارة إلى مصر، وداعية إلى الله عندما بنى مع إبنه اسماعيل -عليهما السلام- بيت الله الحرام، وداعية إلى الله، عندما "تجوّل" في مدن وقرى وبقاع الأرض المباركة فلسطين، وداعية إلى الله، عندما أوصى بنيه -وهو على فراش الموت- بالإسلام والدعوة. وصدق الله القائل: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾

تنازع الطوائف في الانتساب لإبراهيم

نظراً لهذه المنزلة العظيمة لإبراهيم عليه السلام في عالم الإيمان، فقد تنازعت فيه مختلف الطوائف والملل والمذاهب، كل طائفة تدعي الانتساب إليه، وكل ملة تزعم أنها منه، وأنها على دينه، وتجادل غيرها في ذلك.

وقد سجل القرآن هذا التنازع والجدال، وقرر الحق في هذه المسألة، فقال: ﴿يا أهل الكتاب: لم تحاجون في إبراهيم؟ وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده، أفلا تعقلون؟ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين. إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه، وهذا النبي والذين آمنوا، والله ولي المؤمنين﴾ (سورة آل عمران: ٦٥-٦٨).

أهم الطوائف والملل التي تنازعت في الانتساب لإبراهيم -عليه السلام- أربعة: اليهود والنصارى والعرب المشركون والمسلمون.

ادعى اليهود الانتساب لإبراهيم، وزعموا أنهم على دينه، لأنهم بنوه وأحفاده وذريته. أي أنهم لاحظوا النسب والوراثة، وكأنَّ الابن يرث عن أبيه دينه، ولو لم يكن عملياً - على دينه-لقد جعلوا «الدين» ميراثاً، يرثونه كما يرثون المال والمتاع، يرثونه ولو لم يلتزموا به، ويجعلوا حياتهم على أساس توجيهاته! ومنذ متى كان الدين والهدى «سلعة» تنتقل من الآباء للأبناء، وتورث كما تورث الماديات والمنقولات؟؟

لقد ألغى القرآن الوراثة النسبية للايمان والدين، عندما جرد اليهود من صلتهم الدينية والإيمانية بأبيهم إبراهيم -عليه السلام-.

كما نفى القرآن أن يكون إبراهيم عليه السلام يهودياً أو نصرانياً، ورفض جدال اليهود والنصارى في الانتساب إليه، وجردهم من الصلة به، وقرر أن إبراهيم كان موجوداً قبل وجود اليهود، وقبل وجود النصارى، فكيف يعتبر من أحدى الطائفتين وقد وجدتا بعده؟ ودينهما جاء بعد دينه؟ ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده، أفلا تعقلون؟﴾.

وبما أنه وجد قبل اليهود والنصارى فلن يكون يهودياً ولا نصرانياً: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾

وفي هذه التقريرات والحقائق القرآنية، نرى أن اليهود والنصارى ليسوا وارثين لإبراهيم -عليه السلام- ولا لدينه، لأنهم كافرون.

وصرح القرآن بحرمانهم من عهد الله لأبيهم إبراهيم: ﴿قال إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي، قال لا ينال عهدي الظالمين﴾.

الوراثة النَّسبية والوراثة الإيمانية

عندما نفى القرآن انتساب اليهود والنصارى لإبراهيم، ما أراد الصلة النَّسبية وإنما أراد الصلة الإيمانية.

يتصل الأبناء بالآباء، والأحفاد بالأجداد، عن طريقين:

الطريق النَّسبي: عن طريق التزاوج والتوالد والتناسل.

الطريق الإيماني: عن طريق الالتزام بدين الآباء، والاقتداء بهم في الإيمان والإسلام والدعوة.

فاليهود والنصارى قد يتصلون بإبراهيم -عليه السلام- عن الطريق الأول، إذ أن منهم من أبناء وأحفاد وذرية إبراهيم عليه السلام، وهذا ليس هو الموضوع، إن كون اليهود -السابقين- من ذرية إبراهيم حقيقة تاريخية، لا نقاش فيها، ولا نفي لها.

إنما نفى القرآن اتصال اليهود -والنصارى- بإبراهيم عن الطريق الثاني، الطريق الإيماني الديني، إنهم ليسوا على دينه بل هم كافرون.

والمعتبر في عالم الدين والإيمان، هو الصلة الدينية وليست الصلة النسبية، والوراثة الإيمانية وليست الوراثة النسبية.

فها هو نبي الله نوح -عليه السلام- يقطع الله صلَته الإيمانية مع ابنه الكافر، مع إبقائه صلته النسبية به، ولهذا لما غرق بسبب كفره، واستفسر أبوه نوح عليه السلام عن سر ذلك، جاءه الجواب من الله، بانقطاع صلته الدينية به، وزوال وراثته الإيمانية له ﴿ونادى نوح ربه، فقال رب إن ابني من أهلي، وإن وعدك الحق، وأنت أحكم الحاكمين. قال يا نوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح﴾ (سورة هود ٤٥-٤٦).

إن اليهود والنصارى قد يكونون من ذرية ونسل إبراهيم عليه السلام، نعم، لكن لا يلزم من هذه الحقيقة التاريخية "النَّسلية"، كونهم على دين إبراهيم، وارتباطهم به ارتباطاً دينياً ايمانياً.

وبعبارة أخرى: عندما جرد القرآن اليهود والنصارى من اتصالهم بإبراهيم، لم يطعن في أنسابهم، ولم يُلغِ كونهم «ذرية» له، وإنما نفى صلتهم الإيمانية به.

ولهذا نقول: اليهود والنصارى ليسوا وارثين لإبراهيم عليه السلام مع أنهم قد يكونون من ذريته!

المسلمون هم «الوارثون» لإبراهيم

إنطلاقاً من المنطق القرآني، في إلغاء الصلة النسبية في الوراثة الإيمانية، فقد اعتبر القرآن المسلمين هم الوارثين لإبراهيم -عليه السلام-. المسلمون وارثون لدين إبراهيم، فهم على دينه وايمانه، هو حنيف مسلم، وهم حنفاء مسلمون: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾

إبراهيم -عليه السلام- هو أبو المسلمين، لأنه أبو الأنبياء، فهو أبو المؤمنين المسلمين الموحدين، وهذه الأبوة قد لا تكون «أبوة نَسَبية»، ولكنها أبوة ايمانية -إذا جاز التعبير-.

قال تعالى: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾ (سورة الحج: ٧٨).

إن أولى الناس بإبراهيم هم المؤمنون، إن الذين يتصلون به، وينتسبون إليه ويرثونه، هم الذين على دينه، وليسوا من تناسلوا منه، وكانوا ذريته، وخالفوه في دينه!

وهؤلاء المتصلون بإبراهيم المقرّبون منه، الوارثون له، هم الذين كانوا معه، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، والمسلمون أمة محمد عليه السلام ﴿إن أولى الناس بإبراهيم، للذين اتبعوه، وهذا النبي، والذين آمنوا، والله ولي المؤمنين﴾

هذه الحقائق القرآنية التي تقدمها لنا النصوص القرآنية، أبلغ إبطال لدعايات وإشاعات و«اسرائيليات» اليهود، في استغلالهم صلة بعضهم النسبية بإبراهيم عليه السلام، وتعميمها لتشمل وراثتهم كل شيء لإبراهيم عليه السلام، ومنها

«الأرض المباركة»، التي جعلها الله لإبراهيم، وللعالمين من بعده، والعالمون في الحقيقة هم «ورثته» المؤمنون، الذين ورثوه في عالم الدين والايمان والدعوة والإسلام.

إبراهيم باني الكعبة والأقصى!

أخبرنا الله في القرآن أن «الكعبة» هي أولُ بيت بني لله ولعبادته، وأول مسجد في الأرض، قال تعالى ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة، مباركاً وهدىً للعالمين﴾ (سورة آل عمران: ٩٦).

وأخبرنا الله أن إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- هما اللذان بنيا الكعبة بيت الله الحرام، قال تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ (سوة البقرة: ١٢٧).

. وأمرنا الله أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً، واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ (سورة البقرة: ١٢٥).

ويوضح هذه الحقيقة القرآنية رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث روى البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من حديث طويل: «. . . قال إبراهيم يا إسماعيل: إن الله أمرني بأمر، قال اصنع ما أمرك ربك. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً - وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها- فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر، فوضعه له، فقام عليه، وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة.»

إبراهيم عليه السلام هو باني الكعبة، أول مسجد في الأرض.

لكن ما هو ثاني مسجد بني بعد الكعبة؟

إنه المسجد الأقصى في بيت المقدس.

روى الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أول: قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصل، فهو مسجد»

يقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو -الصادق المصدوق- في هذا الحديث الصحيح، أن «المسجد الأقصى» في بيت المقدس، هو ثاني مسجد بني للصلاة، ويقرر المدة الزمنية بين بناء الكعبة وبناء الأقصى بأنها أربعون سنة.

ما معنى هذا؟

إن إبراهيم عليه السلام هو باني الكعبة -بنص القرآن- ولذلك فهو باني المسجد الأقصى في بيت المقدس.

بنى إبراهيم الكعبة، ثم عاد إلى موطنه في «بيت المقدس»، وهناك أمره الله ببناء ثاني بيت لله، وهو المسجد الأقصى، وكون إبراهيم عليه السلام هو باني أول مسجدين في الأرض، يوضح المعنى الذي افتتحنا به هذه الكلمة، وهو أنه إمام هدى، وأمة دعوة.

ليس غريباً إذن، ولا مستبعداً أن يبني إبراهيم المسجد الأقصى بعد بنائه الكعبة بأربعين سنة!.

الأقصى بُني قبل الهيكل بمئات السنين!

نرى أن هذه الحقيقة القرآنية إبطالاً قوياً لحجج ومزاعم وإسرائيليات اليهود حول القدس، وحقهم فيها، وحرصِهم على إعادة بناء «هيكل سليمان» على أنقاض المسجد الأقصى.

يزعمون أن هيكل سليمان بناه سليمان -عليه السلام- قبل المسجد الأقصى، وأن المسلمين هم المعتدون، لأنهم بنوا المسجد الأقصى مكان الهيكل، وأن اليهود الآن يريدون إعادة الحق إلى نصابه!!

هذه خرافات وإشاعات وأكاذيب يهودية باطلة، لقد أخبرنا الله أن الأقصى بني قبل الهيكل، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، باعتباره ثاني مسجد بني في الأرض.

ومعلوم أن بين إبراهيم باني الأقصى، وسليمان باني الهيكل -عليهما السلام- مئات السنين، وهذه حقيقة تاريخية معروفة.

تخبرنا هذه التقريرات الصادقة أن الوجودَ الإسلامي على أرض فلسطين أسبقُ زمنياً من الوجود اليهودي، وأن الإسلام أسبق من اليهودية فيها، وأن المسجد أسبقُ من الهيكل فيها.

أين المسلمون -وبخاصة الإعلاميون والدبلوماسيون والصحفيون والكاتبون منهم- من هذه الحقائق القرآنية الهادية؟ ولماذا لا يستخدمونها في مواجهة الباطل اليهودي الخادع؟ بدل أن يخاطبوا الآخرين بمنطق العاجز ولسان الضعيف!!

المسلمون جددوا بناء الأقصى

بقيت مسألة نناقشها في موضوع بناء الأقصى قبل الهيكل.

فقد يعترض معترضون، ويقولون إن كلامنا يتعارض مع التاريخ، فمعلوم تاريخياً أن المسلمين هم الذين بنوا المسجد الأقصى في القرن الأول. لما فتح المسلمون فلسطين، ودخل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- القدس، لم يكن المسجد الأقصى قائماً.

والذي بنى المسجد الأقصى هو الخليفة الأموي «الوليد بن عبد الملك» عام ٩٧هـ. ولا نرى تعارضاً ولا تناقضاً بين التقريرات القرآنية والحديثية السابقة، وبين هذه الوقائع التاريخية.

فإبراهيم هو أول من بنى الأقصى في بيت المقدس. ثم حدثت للأقصى أحداث، هدم بناؤه فيها، والله أعلم متى هُدم، ومن قام بهدمه، ولماذا هدمه،

فليس لدينا أخبار يقينية في ذلك. ولما جاء الإسلام كان الأقصى مهدوماً، وبناؤه منقوضاً. فجاء الخليفة الوليد بن عبد الملك وجدد بناء الأقصى.

إذن ليس الأقصى بعد الهيكل، ولم يكن المسلمون هم الذين انشأوا الأقصى وأوجدوه، وإنما كانوا مجددين له، ومظهرين له، ومعيدين له أصالته وأسبقيته وبركته!

ويخبرنا القرآن أن الفترة التي هدم فيها الأقصى ونقضت حجارته وأزيل بناؤه، لم يلغ فيها دوره ولا سبقه، ولا ريادته ولا أصالته، فهو «مسجد أقصى» معروف مكانه، وأن هدم بنيانه!

ففي رحلة الإسراء، جمع الله الأنبياء للرسول صلى الله عليه وسلم على أرض الأقصى، وعلى أنقاض الأقصى، وصلى بهم إماماً، وقال الله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذي باركنا حوله﴾ (سورة الإسراء: ١)

فكان الإسراء من أول مسجد بني في الأرض، إلى ثاني مسجد بني فيها.

من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى. فالإسراء إلى المسجد الأقصى، وإن لم يكن مبنياً وقت الإسراء، وإن لم يكن مسجداً قائماً على الأرض وقت الإسراء. لأن المعتبر ليس إقامة البنيان بالدرجة الأولى، بل الحقيقة العلمية اليقينية القاطعة.

باني أول وثاني مسجدين في الأرض هو إبراهيم عليه السلام، أبو الأنبياء. والإسراء بين أول وثاني مسجدين في الأرض، بمحمد عليه السلام خاتم الأنبياء.

ووارثة أول وثاني مسجدين في الأرض، خير أمم الأرض، أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وارثة دين إبراهيم عليه السلام، وأولى الناس به وبدينه وبأرضه، وبمسجديه، المسجد الحرام والمسجد الأقصى!!.

الفصل الخامس

داود وسليمان يقيمان حكماً إسلامياً لا يهودياً!

يعتز يهود هذا الزمان بالفترة التي حكم فيها داود وسليمان عليهما السلام في فلسطين، ويعتبرون حكمهما حكماً يهودياً، ويعتبرون أنفسهم ورثة لهما، ويعتبرون دولتهم المعاصرة في فلسطين إمتداداً لدولتهما السابقة، ويريدون إعادة بناء الهيكل، الذي بناه سليمان -عليه السلام- في بيت المقدس، باعتباره هيكلاً يهودياً. وينشرون هذه المزاعم والخرافات والإسرائيليات على الآخرين، وتصدقها شعوب مخدوعة في العالم الغربي.

وأقام يهود هذا الزمان دولة وكياناً لهم في فلسطين، على أساس هذه الإسرائيليات والمزاعم، وجعلوا من أهدافهم تحقيق هذه المزاعم على أرض الواقع. وعندما نعود إلى القرآن الكريم، فإننا نجده يبطل هذه المزاعم ويفند هذه الخرافات والإسرائيليات.

يعتبر القرآن أنبياء بني إسرائيل مسلمين، ويعتبر رسالتهم هي الإسلام، ويعتبر أتباعهم مسلمين، لذلك كان داوود وسليمان -عليهما السلام- مسلمين، وكان حكمهما إسلامياً، وكانت دولتهما إسلامية!!

يقصُر بعض الناس الإسلام على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا خطأ وتضييق لمفهوم الإسلام. لقد أطلق القرآن الكريم الإسلام على ثلاثة معان:

الإسلام خضوع الكون لله

الأول: الإسلام بالمعنى العام: وهوالاستسلام لله سبحانه، والخضوع والانقياد له. وهو بهذا المعنى يشمل كل المخلوقات في هذا الكون، في السماوات وفي الأرض.

فالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، كلها مخلوقات مسلمة لله، والملائكة كلهم مسلمون لله، قال تعالى : ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات، ومن في الأرض، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب، ومن يهن الله فما له من مكرم، إن الله يفعل ما يشاء﴾ (سورة الحج : ١٨).

الإسلام دين كل الأنبياء

المعنى الثاني: الإسلام رسالة الأنبياء والمرسلين جميعاً، الإسلام بهذا المعنى هو كل رسالة أرسل الله بها رسولاً من رسله، وكل وحي أوحاه الله إلى نبي من أنبيائه.

كل نبي من السابقين مسلم، وجاء بالإسلام، ودينه هو الإسلام، ورسالته هي الإسلام، وأتباعه الذين آمنوا به هم المسلمون.

أتباع نوح مسلمون، وأتباع إبراهيم مسلمون، وأتباع موسى وهارون وأتباع داوود وسليمان مسلمون، وأتباع عيسى مسلمون، وأتباع محمد مسلمون.

وهذا المعنى للإسلام يلاحظ الحركة التاريخية للإسلام، منذ آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم. وقد اعتبر القرآن الإسلام دينا لكل نبي من السابقين، واعتبر القرآن الإسلام هو أن يُسلم الناس لرب العالمين، وأن يخضعوا وينقادوا له.

نوح عليه السلام مسلم، ورسالته هي الإسلام وأتباعه هم المسلمون، قال تعالى مخبراً عن قول نوح عليه السلام لقومه: ﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر، إن أجري إلا على الله، وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ (سورة يونس: ٧٢).

وإبراهيم عليه السلام مسلم، ودينه هو الإسلام، قال تعالى : ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه، ولقد اصطفيناه في الدنيا، وإنه في الآخرة

لمن الصالحين، إذ قال له ربه أسلم قال: أسلمت لرب العالمين﴾ (سورة البقرة: ١٣٠-١٣١).

والإسلام هو دين موسى عليه السلام، ولذلك كان أتباعه مسلمين، وطلبوا من ربهم أن يميتهم على الإسلام، فقالوا: ﴿ربنا أفرغ علينا صبرا، وتوفنا مسلمين﴾ (سورة الأعراف: ١٢٦).

والإسلام هو دين عيسى عليه السلام، ولذلك كان الحواريون مسلمين، أعلنوا إسلامهم، وقدموا بذلك شهادتهم. قال تعالى: ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله، آمنا بالله، واشهد بأنا مسلمون، ربنا آمنا بما أنزلت، واتبعنا الرسول، فاكتبنا مع الشاهدين﴾ (سورة آل عمران: ٥٢-٥٣)

الإسلام دين هذه الأمة

المعنى الثالث: الإسلام هو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم: الإسلام يطلق بالمعنى الثالث على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فدينه هو الإسلام، وأتباعه هم المسلمون، وهذا هو المعنى المعروف عند الناس، وإليه ينصرف معنى الإسلام عند استعماله.

ولا تناقض بين استعمال الإسلام بهذا المعنى الخاص، واستعماله بالمعنيين السابقين، لأن الإسلام هو دين الوجود كله، فهو دين البشر جميعاً، جاء به كل نبي من السابقين، وبه جاء خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وبه ختمت جميع الرسالات، وبه نُسخت جميع الشرائع، الإسلام رضيه الله لنا ديناً، قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (سورة المائدة: ٣).

والإسلام بهذا المعنى الخاص، هو الدين المقبول عند الله، قال تعالى ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (سورة آل عمران: ١٩).

ومن لم يتبع الإسلام بهذا المعنى الخاص، فهو كافر، وأي دين غير الإسلام لا يقبل عند الله، قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (سورة آل عمران : ٨٥)

وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحقائق القرآنية حول معاني الإسلام.

بين عليه الصلاة والسلام أن دين المرسلين جميعاً واحد، هو الإسلام، فروى البخاري ومسلم عنه عليه الصلاة والسلام قوله: «الأنبياء إخوة أبناء علاّت، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد».

وبين أن رسالته هي المتممة للرسالات السابقة، والمكملة لها. فروى عنه البخاري ومسلم قوله: «مَثَلي ومَثَل الأنبياء قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة، من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة، فأنا تلك اللبنة، وأنا خاتم النبيين».

وقرر عليه الصلاة والسلام أن أي انسان كافر من أهل النار، إذا لم يدخل في الإسلام -بالمعنى الثالث الخاص- فروى عنه مسلم قوله: «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم لم يؤمن بالذي أُرسلت به، إلا كان من أصحاب النار».

أنبياء بني إسرائيل مسلمون

نعود إلى مسألة إسلام أنبياء بني إسرائيل، باعتبارها حقيقة قرآنية قاطعة، لنزيدها وضوحاً وبياناً، ونبطل بها إسرائيليات وخرافات اليهود.

يرفض اليهود اعتبار أنبيائهم مسلمين، واعتبار دينهم هو الإسلام، ويصرون على أنهم يهود، وأن ديانتهم هي اليهودية.

إنهم يعتبرون إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان يهوداً، ويعتبرون رسالاتهم يهودية، ويعتبرون أتباعهم يهوداً.

وإن القرآن يعتبر أولئك الأنبياء الكرام -عليهم الصلاة والسلام- مسلمين، ويعتبر أتباعهم مسلمين، ويعتبر رسالتهم هي الإسلام -الإسلام بمعناه التاريخي!

إبراهيم حنيف مسلم

وقد تضافرت آيات القرآن على تقرير هذه الحقيقة القرآنية القاطعة: إبراهيم عليه السلام-الذي يدّعي اليهود أنهم على دينه- يرفض القرآنُ اعتباره يهودياً أو نصرانياً، ويجرد اليهود والنصارى من الإنتساب الديني إليه، ويقرر أنه حنيف مسلم، وأن اتباعَ محمد صلى الله عليه وسلم المسلمين أولى الناس به، قال تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه، وهذا النبي، والذين آمنوا، والله ولي المؤمنين﴾ (سورة آل عمران :٦٧- ٦٨).

ولما طلب الله منه أن يسلم، استجاب لأمر الله، وأعلن إسلامه لله ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه، ولقد ا صطفيناه في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين، إذ قال له ربه أسلم قال: أسلمت لرب العالمين﴾ (سورة البقرة: ١٣٠ - ١٣١).

واعتبر القرآن أن أحسن الناس ديناً هو المسلم المتبع لملة إبراهيم خليل الله. قال تعالى ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله، وهو محسن، واتبع ملة إبراهيم حنيفاً، واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ (سورة النساء: ١٢٥).

ولما توجه إبراهيم لذبح ولده إسماعيل -عليهما السلام-، استسلم هو وولده لأمر الله وخضعا له، قال تعالى عنهما: ﴿فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه: أن يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا﴾ (سورة الصافات : ١٠٣-١٠٥).

ولما قام إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام- ببناء الكعبة، أعلنا إسلامهما لله، وطلبا من الله أن يجعل ذريتهما مسلمة له، وأن يجعل فيها نبياً

يقودها إلى الإيمان والجنة. قال تعالى﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل: ربنا تقبل منا، إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ (سورة البقرة: ١٢٧-١٢٨).

وقد سمانا إبراهيم عليه السلام بهذا الإسم "مسلمين" كما قال تعالى: ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾ (سورة الحج: ٧٨).

يعقوب يوصي بنيه بالإسلام

يعقوب عليه السلام هو "إسرائيل" وهو جد بني إسرائيل، واليهود يدّعون انتسابهم إليه، ويزعمون أنهم على دينه.

يقرر القرآن صراحة، أن يعقوب عليه السلام كان مسلماً، وأن جده إبراهيم أوصاه بالإسلام. قال تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيمُ بَنيه ويعقوبُ، يا بَني إن الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتُن إلا وأنتم مسلمون﴾ (سورة البقرة: ١٣٢)

إبراهيم يوصي إسماعيل وإسحاق بالإسلام، وإسحاق يوصي ابنه يعقوب بالإسلام، ويعقوب يوصي بنيه بالإسلام، وكل يطالب الآخرين أن يعيشوا مسلمين، وأن لا يموتوا إلا وهم مسلمون، لأن الإسلام هو الدين الذي اصطفاه الله لهم: ﴿إن الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

وعندما كان يعقوب النبي المسلم جد إسرائيل -عليه السلام- على فراش الموت، دعا أولاده وسألهم: ما تعبدون من بعدي؟ وأي دين تختارون من بعدي؟ وكانت دعوته لأولاده الإثني عشر في مصر، لأن العائلة الطيبة انتقلت من فلسطين، للإقامة في مصر، عند النبي الكريم يوسف عليه السلام.

وقد أجاب الأبناء جميعاً أباهم قائلين: نعبد إلهك وإله آبائك: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، إلهاً واحداً، ونحن له مسلمون.

وقد سجل القرآن هذه الحقيقة التاريخية قائلاً: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر

يعقوب الموت، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحداً ونحن له مسلمون﴾ (سورة البقرة : ١٣٣)

ويوسف -ابن يعقوب- عليهما السلام يختار الإسلام، ويطلب من الله أن يُميته مسلماً، وسجل القرآن دعاءه، حيث قال﴿رب قد آتيتني من الملك، وعلمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ (سورة يوسف: ١٠١).

موسى يدعو إلى الإسلام

ننتقل من تقرير القرآن إسلام أصول وأجداد بني إسرائيل، إلى تقريره في نصوصه وحقائقه القاطعة، إسلام أنبيائهم، الذين جاءوا بعد ذلك.

موسى عليه السلام مسلم مؤمن وهو أول المسلمين المؤمنين من قومه﴿فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ (سورة الأعراف: ١٤٣).

وقد طلب موسى من قومه أن يسلموا لله، ويؤمنوا به، ويتوكلوا عليه، قال تعالى: ﴿وقال موسى: يا قوم إن كنتم آمنتم بالله، فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين. فقالوا على الله توكلنا﴾ (سورة يونس : ٨٤-٨٥).

استجاب قوم موسى المؤمنون به لدعوته، وأعلنوا أنهم مسلمون، ودعوا الله أن يتوفاهم مسلمين، وقرر القرآن هذه الحقيقة في قوله: ﴿ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾ (سورة الأعراف: ١٢٦)

وهذه النصوص القرآنية تقرر أن موسى وهارون مسلمان، وأن دينهما هو الإسلام، وأن أتباعهما كانوا مسلمين.

داوود خليفة مسلم

بدأ داوود عليه السلام حياته الجهادية جندياً في جيش ملك اليهود المسلم "طالوت"، واشترك في المعركة الفاصلة ضد أعداء بني إسرائيل الكفار، وقتل

بيده ملكهم الكافر «جالوت».

وتوجه الجيش المسلم المجاهد إلى الله بالدعاء: ﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا: ربنا أفرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فهزموهم بإذن الله، وقتل داوود جالوت، وآتاه الله الملك والحكمة، وعلمه مما يشاء﴾ (سورة البقرة: ٢٥٠-٢٥١).

وأنشأ داوود عليه السلام في فلسطين حكماً إسلامياً، وأوجد لبني إسرائيل دولة إسلامية إيمانية ربانية هادية.

وكان داوود في تلك الدولة المسلمة النبيَّ الرسول، والملك الصالح، والخليفة العادل، والداعية العابد المجاهد، حكم قومه بالإسلام، ونظم حياتهم على أساس الإسلام.

وقد ذَكَّره الله بخلافته في الأرض، وبالحكم بالحق، فقال له: ﴿يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضِلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ (سورة ص: ٢٦).

حُكم داوود إسلامي وليس يهودياً، وحروبه جهادية إسلامية لنشر الإسلام، وليست حروباً يهودية عنصرية لسيادة الجنس اليهودي، ولقد قرّب الناس ووالاهم على أساس إسلامهم وإيمانهم، وليس على أساس جنسهم ويهوديتهم.

ولذلك تبرأ داوود عليه السلام من الكفار، وإن كانوا من قومه بني إسرائيل، ولعن أولئك الكافرين من بني إسرائيل.

وقرر القرآن هذه الحقيقة الإسلامية لداوود عليه السلام بقوله: ﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل، على لسان داوود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون﴾ (سورة المائدة: ٧٨).

لهذا كله، لا حق لليهود الكافرين المعاصرين في فترة حكم داوود عليه السلام في فلسطين، حيث لعنهم بنص القرآن، وهذا معناه أنه بريء من كل يهودي كافر، ولو كان من نسله وذريته!!

سليمان حاكم مسلم وداعية للإسلام

سليمان ابن لداوود -عليهما السلام- وورث سليمان داوود في كل شيء، اختاره الله نبياً مثل أبيه، وورثه في الخلافة والملك والحكم، وحكم بني إسرائيل من بعد أبيه، ووطد الدولة التي أنشأها أبوه.

ولقد كان سليمان حاكماً مسلماً، ونبياً رسولاً، وملكاً عادلاً، وعابداً داعية مجاهداً، أي أنه أقام لبني إسرائيل في فلسطين حكماً إسلامياً إيمانياً، وأتباعه من بني إسرائيل الذين معه، كانوا مثله مسلمين مؤمنين، عاملهم على أساس إسلامهم وإيمانهم وليس على أساس جنسهم ويهوديتهم.

وكل أعماله التي عملها في فترة حكمه أعمال إسلامية وليست يهودية، ويجب أن تُجعل للإسلام لا لليهودية، وأن "تُجَيَّر" للمسلمين لا لليهود، وجهاده لنشر الإسلام، وحروبه وفتوحاته لإدخال الناس في الإسلام، وحركاته دعوة منه للإسلام. وقد قرر القرآن هذه الحقيقة الإسلامية لأعمال وحكم سليمان، عندما أشار إلى قصته مع ملكة سبأ. فقد دعا ملكة سبأ وقومها للإسلام وليس لليهودية، وكان نص كتابه اليهم -الذي حمله الهدهد- ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: أن لا تعلوا علي، واتوني مسلمين﴾ (سورة النمل: ٣٠-٣١) ولما أوشك قوم سبأ أن يسلموا، أراد سليمان أن يريهم آية على قوة الإسلام، فطلب إحضار عرش ملكة سبأ، بعد خروجها مع وفد قومها من اليمن: ﴿قال يا أيها الملأ: أيكم يأتيني بعرشها، قبل أن يأتوني مسلمين﴾ (سورة النمل: ٣٨).

ولما حضرت ملكة سبأ عند سليمان، ورأت العرش، فوجِئت به، ولم تجزم

أنه عرشها، سجل القرآن تفوق سليمان عليها، لأنه مسلم وهي كافرة، أي أن الإسلام يقود إلى القوة والفطنة والذكاء، والكفر يوقع في الغفلة والسذاجة: ﴿فلما جاءت قيل: أهكذا عرشك؟ قالت: كأنه هو، وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين. وصدها ما كانت تعبد من دون الله، إنها كانت من قوم كافرين﴾ (سورة النمل: ٤٢-٤٣).

وانتهت قصة سليمان الداعية المسلم مع ملكة سبأ، باستجابتها لدعوته، ودخولها في دينه، واتباعها الإسلام، ولقد سجل القرآن إسلامها: ﴿قالت: رب إني ظلمت نفسي، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ (سورة النمل: ٤٤).

إن قول ملكة سبأ: ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ هو أصدق وصف لفترة حكم سليمان -عليه السلام- في فلسطين.

كان سليمان عليه السلام في فترة حكمه لبني إسرائيل مسلماً لله رب العالمين، وكان هدفه أن يسلم معه الناس لله رب العالمين، وعمل على أن يسلم بنو إسرائيل معه لله رب العالمين، وكان حكمه هو الإسلام لله رب العالمين.

وهذا معنى قولنا: أن سليمان عليه السلام أقام في فلسطين حكماً إسلامياً، يسلم فيه الناس مع سليمان لله رب العالمين، ولم يكن حكمه حكماً يهودياً عنصرياً طائفياً.

هيكل سليمان ليسلم فيه الناس لله

الهيكل الذي بناه سليمان في بيت المقدس -كما يقول اليهود- لم يكن لليهود باعتبارهم يهوداً، ولم يبنه سليمان لهدف عنصري أو طائفي أو قومي، لم يبنه ليخلد مجد اليهود، لأنهم شعب الله المختار -كما يزعمون-.

لقد بنى سليمان هيكله لعبادة الله، بناه ليسلم فيه الناس لله رب العالمين، أي كان هيكله بيتاً للإيمان والإسلام، ولعبادة الله وطاعته وتقواه، لأن هدف

سليمان من كل أعماله في حكمه: أن يسلم معه الناس لله رب العالمين.

وهذا معناه أن الإسلام -بمعناه الخاص- الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، هو الوارث لحكم سليمان عليه السلام، لأن هدف محمد صلى الله عليه وسلم،أن يسلم معه الناس لله رب العالمين.

ورثَ المسلمون فلسطين، وحققوا هدف سليمان السابق،في إسلام الناس معهم لله رب العالمين، وشيدوا المساجد وبيوت الله لتحقيق هذا الهدف، وبنوا المسجد الأقصى في بيت المقدس لتحقيق ذلك، فكان المسجد بيتاً لله، يسلم فيه الناس لله، كما كان هيكل سليمان بيتاً إسلامياً لله، يسلم فيه الناس لله.

فلا حق لليهود في سليمان، ولا في فترة حكم سليمان، ولا في هيكل سليمان، ونحن المسلمون الوارثون لسليمان،في كل هذه المعاني الإسلامية لحكمه الإسلامي!!!.



الفصل السادس

موقفنا من تاريخ بني إسرائيل

رفض النظرة القومية إلى تاريخهم

من العرب المعاصرين من يذم ويكره كل بني إسرائيل السابقين، ولا يستثني منهم أحداً، أي أنه ينظر لهم باعتبارهم جنساً أو قوماً، فيكره كل فرد من أفرادهم، وهو بالتالي يسقط ويلغي كل تاريخهم السابق، ويعتبره تاريخاً مظلماً يقوم على البغي والظلم والعدوان، ولا يستثني من ذلك التاريخ حقبة أو دورة أو فترة. وهذه النظرة لبني إسرائيل مرفوضة إسلامياً، وهذا الموقف من تاريخهم مرفوض إسلامياً كذلك.

بنو إسرائيل السابقون لا ينظر لهم القرآن باعتبار الجنس أو النسل أو القوم، ولذلك هو لا يقبل كل أفرادهم، كما أنه لا يرفض كل أفرادهم، القرآن يلغي النظرة القومية لبني إسرائيل، ويلغي الموقف القومي من تاريخهم.

إن اليهود ينظرون إلى أجدادهم نظرة قومية مغالية، ويفهمون تاريخهم فهماً قومياً مغالياً، ومن ثم يتعاملون مع بعضهم في هذا الزمان تعاملاً قومياً عنصرياً.

كل يهودي عندهم معزز مكرم، منذ يعقوب -إسرائيل- عليه السلام، وإلى الآن، مهما كان مستواه وتصوره وسلوكه، أليس فرداً من أفراد شعب الله المختار - كما يزعمون؟ وكل فترة وحقبة من تاريخهم مقبولة عندهم، لأنها تمثل تاريخاً لذلك الجنس اليهودي القومي العنصري المتعصب.

ونظراً لهذه النظرة القومية العنصرية اليهودية لليهود وتاريخهم، فإن بعض العرب المعاصرين يردون عليها بنظرة قومية عنصرية عربية مغالية، فيعتبرون كل

فرد من أفراد بني إسرائيل السابقين عدواً لهم، ويعتبرون كل فترات تاريخهم فترات بغيضة، لأنها تاريخ لأعدائهم.

والمسلم الذي ينظر في تاريخ الناس بمنظار القرآن، ويتعامل مع الآخرين وفق حقائق وتوجيهات القرآن، يرفض كلتي النظرتين المغاليتين، النظرة القومية اليهودية المغالية، ونقيضها النظرة العربية القومية الرافضة.

النظرة القرآنية الإيمانية

ينظر القرآن في تاريخ بني إسرائيل نظرة إيمانية، ويقوِّم أشخاصهم تقويماً إيمانياً.

لا يتعامل القرآن مع بني إسرائيل باعتبارهم جنساً أو قوماً، مقبولاً أو مرفوضاً، بل يتعامل معهم باعتبارهم أفراداً، مؤمنين أو كافرين.

منهم من هو مؤمن، فهذا عزيز كريم، ومنهم من هو كافر، فذلك خبيث لئيم.

وهذه النظرة القرآنية لهم علمية منهجية موضوعية، وتدعو المسلمين الذين يصدرون عن القرآن، وينطلقون من حقائقه، إلى أن يكونوا موضوعيين علميين منهجيين في الحديث عن بني إسرائيل السابقين، وتقويم أفرادهم.

إن القرآن ينظر هذه النظرة الموضوعية إلى جميع الأقوام والأمم، وليس إلى بني إسرائيل فقط، إنه يفسر تاريخ الأفراد والجماعات والأمم والشعوب تفسيراً إسلامياً، ويقوِّم الأشخاص تقويماً إيمانياً.

كل شخص مسلم فالقرآن يثني عليه، مهما كان أصله أو جنسه أو لونه أو أرضه أو لغته، وكل أمة مسلمة فالقرآن يمدحها، مهما كان أصلها أو لونها أو موطنها.

تاريخ المؤمنين تاريخ محمود في القرآن، وهو مشرق خيِّر مبارك، وتاريخ العصاة والظالمين والكافرين تاريخ مرفوض في القرآن، وهو مظلم فاسد شرير.

وهذه دعوة منا إلى الذين يكتبون التاريخ، والذين يدرسونه إلى الالتزام بهذا المقياس القرآني، والميزان الايماني، والتقويم الموضوعي الإسلامي.

بنو إسرائيل السابقون صنفان

يخبرنا القرآن أن بني إسرائيل السابقين صنفان: مؤمنون صالحون مكرمون عند الله. وكافرون ظالمون، عصاة مجرمون، ملعونون عند الله. ويعترف القرآن أن غالبية بني إسرائيل كانوا من الصنف الثاني.

وقد وردت آيات كثيرة تذم بني إسرائيل الكافرين العصاة الظالمين، وتسجل عليهم تكذيبهم لأنبيائهم، وكفرهم بالحق الذي معهم، ونقضهم لعهود الله.

قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب، وقفينا من بعده الرسل، وآتينا عيسى ابن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم، استكبرتم، ففريقاً كذبتم، وفريقاً تقتلون، وقالوا قلوبنا غلف، بل لعنهم الله بكفرهم، فقليلاً ما يؤمنون﴾ (سورة البقرة: ٨٧-٨٨).

وقال تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت أيديهم، ولعنوا بما قالوا، بل يداه مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾ (سورة المائدة: ٦٤).

معظم بني إسرائيل السابقين، الذين كانوا قبل مجيء الإسلام، ظالمون عصاة مجرمون، ناقضون للعهود والمواثيق، متبعون للباطل والهوى، محاربون للحق والرسل والأنبياء. وعلى هذا الصنف الباغي، تنطبق آيات القرآن التي تذم بني إسرائيل، وتسجل عليهم مخالفاتهم، وتقرر لعنتهم وعذابهم وغضب الله عليهم.

القرآن ينصف القلة المؤمنة منهم

هناك صنف مؤمن فاضل كريم، من بني إسرائيل السابقين، ولكن أفراد هذا الصنف قلائل أو نادرون.

إن القرآن ينصف القلة المؤمنة منهم، ويثني على صالحيهم ومؤمنيهم، ويشيد بهم وبمواقفهم، ويعتبرهم أحباباً لله، ويدعونا أن نحبهم، وأن نقتدي بهم، في الصلاح والفضيلة والإلتزام والدعوة.

وفي طليعة ذلك الموكب المؤمن الكريم من بني إسرائيل، أنبياؤهم ورسلهم، مثل يعقوب ويوسف، وموسى وهارون، وداود وسليمان، وزكريا ويحيى وعيسى، عليهم الصلاة والسلام، وفي مقدمة ذلك الموكب أيضاً أشخاص، عرفنا القرآن بهم مثل طالوت.

لقد سجل القرآن الموقف الإيماني العظيم للسحرة الذين جاءوا إلى موسى مرتزقة تابعين لفرعون، فلما عرفوا الحق آمنوا به وواجهوا فرعون بموقف إيماني رجولي عظيم.

﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى، وألق ما في يمينك، تلقف ما صنعوا، إنما صنعوا كيد ساحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى، فأُلقي السحرة سجداً، قالوا: آمنا برب هارون وموسى قال: ءامنتم له، قبل أن ءاذن لكم، إنه لكبيركم الذي علمكم السحر، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ولأصلبنكم في جذوع النخل، ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى، قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات، والذي فطرنا، فاقض ما أنت قاضٍ، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، إنا ءامنا بربنا ليغفر لنا خطايانا، وما أكرهتنا عليه من السحر، والله خير وأبقى﴾ (سورة طه: ٦٨-٧٣).

وقد جعل القرآن أولئك المؤمنين الصالحين من بني إسرائيل أئمة هدى. قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب، فلا تكن في مرية من لقائه، وجعلناه هدى لبني إسرائيل، وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا، لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ (سورة السجدة: ٢٣-٢٤).

وقد اعتد القرآن بشهادة أولئك المؤمنين منهم، على نبوة محمد صلى الله

عليه وسلم، قال تعالى: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله، وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله، فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة الأحقاف: ١٠).

آيات تجمع بين الصنفين

يعلمنا القرآن الموضوعية والمنهجية في الحديث عن بني إسرائيل، فلا نقبلهم كلهم، ولا نرفضهم كلهم، وإنما نزنهم بميزان الإيمان، وننظر لهم على أساسه.

ولذلك وردت آيات قرآنية فيها ذكر الصنفين، المؤمنين مع الثناء عليهم، والكافرين مع ذمهم.

قال تعالى: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، منهم أمة مقتصدة، وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ (المائدة: ٦٦)

وقال تعالى: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم، وبصدهم عن سبيل الله كثيراً، وأخذهم الربا، وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً، لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون، يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ (سورة النساء: ١٦٠-١٦٢).

ونقرأ هذه الآيات الموضوعية، التي تصنف بني إسرائيل تصنيفاً منهجياً، فتجعلهم فريقين: مؤمنين وكافرين.

قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهَوْن عن المنكر، وتؤمنون بالله، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون، لن يضروكم إلا أذى، وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا يُنصرون، ضربت عليهم الذلة أينما ثُقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس، وباءوا بغضب من الله، وضربت عليهم المسكنة، ذلك بأنهم كانوا يكفرون

بآيات الله، ويقتلون الأنبياء بغير حق، ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون. ليسوا سواء، من أهل الكتاب أمة قائمة، يتلون آيات الله آناء الليل، وهم يسجدون، يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف، وينهَوْن عن المنكر، ويسارعون في الخيرات، وأولئك من الصالحين، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾ (سورة آل عمران: ١١٠-١١٥).

هؤلاء المؤمنون الصالحون منهم، نحبهم، ونحترمهم، ونقتدي بهم، لأنهم إخوان لنا، مسلمون مثلنا، ومصيرهم الجنة، ونرجو أن يجمعنا الله بهم يوم القيامة.

الفرد المؤمن من بني إسرائيل السابقين في الجنة، والفرد المسلم من العرب في الجنة، لأن أهل الجنة لا يصنفون تصنيفاً قومياً ولا عنصرياً، بل تصنيفهم إيماني إسلامي.

تاريخ بني إسرائيل الإيماني تاريخ لنا

الكلام عن صنفي بني إسرائيل السابقين: المؤمنين والكافرين، يقودنا إلى الحديث عن تاريخهم السابق، وهو نوعان:

تاريخ مشرق منير محمود، وهو تاريخ مؤمنيهم وصالحيهم، أو هو التاريخ الذي حكمهم فيه مؤمنوهم وصالحوهم، وقادهم فيه أنبياؤهم، وهذا التاريخ نتبناه نحن، ونشيد به، ونعتبره تاريخاً لنا، تاريخاً إسلامياً إيمانياً. وفي مقدمة ذلك التاريخ الإسلامي المشرق لبني إسرائيل السابقين، تاريخ أنبيائهم ورسلهم، مثل تاريخ موسى وهارون، وتاريخ داود وسليمان، وتاريخ زكريا ويحيى، وتاريخ عيسى، عليهم الصلاة والسلام.

لذلك اعتبرنا حكم داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام -وهي الفترة الذهبية الزاهية لحكم بني إسرائيل- حكماً إسلامياً، لا حكماً يهودياً عنصرياً، واعتبرنا ذلك التاريخ تاريخاً إسلامياً، واعتبرنا أعمال داود وسليمان وانجازاتهما

مظاهر إسلامية لا يهودية، واعتبرنا هيكل سليمان في بيت المقدس بيتاً إسلامياً لعبادة الله بناه سليمان، وليس معلماً يهودياً، واعتبرنا المسجد الأقصى وارثاً له، ومؤدياً لمهمته الايمانية في عبادة الله.

نحن مع موسى وهارون والسحرة المؤمنين في مصر، ضد فرعون وجنوده، نتبنى مواقفهم ضد فرعون، ونشيد بثباتهم أمام فرعون.

نحن مع فتى موسى "يوشع بن نون"، ذلك الرجل المؤمن والعبد الصالح، ونؤيده في فتوحاته في الأرض المقدسة، وحروبه ضد الكفار في الأرض المقدسة، ونشيد بانتصاراته عليهم، لأن معاركه وحروبه كانت لنشر الإيمان وإحقاق الحق، وضد البغي والكفر، ولم تكن معاركه عنصرية قومية، لمصلحة الشعب اليهودي ضد غيره.

نحن مع طالوت في حربه ضد جالوت، لأنها حرب الإيمان أمام الكفر، ونحن مع جيش طالوت المؤمن الصابر، في قتاله لجيش جالوت الباغي الكافر، ونحن مع داود المؤمن الكريم، في قتله لجالوت الظالم الأثيم، لأن أعمال طالوت وداود وجيشهما لنصرة الإيمان، وخذلان الكفر والعدوان.

نحن مع نبي الله سليمان عليه السلام، النبي الحكيم والملك العادل، والحاكم الصالح، فحكمه حكم إسلامي، لا يهودياً وتاريخه تاريخ إسلامي مشرق منير، لا تاريخاً يهودياً عنصرياً باغياً.

لا حقّ لليهود المعاصرين في تاريخ أسلافهم المشرق، لا يجوز لهم أن يفاخروا بتاريخ أنبيائهم وصالحيهم، لأنه تاريخ الإسلام والإيمان، وهم ليسوا مسلمين ولا مؤمنين.

تاريخ يعقوب ويوسف وموسى وهارون وطالوت وسليمان وداود، تاريخ لنا نحن، وليس تاريخاً لهم.

ونعترف بأن فترات التاريخ الإيماني المشرق، والإسلامي المنير، عندهم كانت

فترات قصيرة من حيث الزمان، لا تكاد تذكر أمام تاريخهم الآخر الذي هو ألصقُ بهم، وأظهر في الدلالة على نفسيتهم وطبيعتهم.

تاريخ بني إسرائيل الأسود نحن ضده

النوع الثاني من تاريخ بني إسرائيل: هو تاريخ أسود مظلم قاتم، تاريخ يقوم على الكفر بالله، ومحاربة الحق، وتكذيب الرسل، ونقض العهود، وارتكاب المعاصي، وممارسة الظلم، والسعي في الفساد، ونشر الرذائل والمنكرات.

هذا التاريخ اليهودي البغيض، طويل في فتراته وسنواته، ممتد في زمانه، حالك في صفحاته.

هذا التاريخ هو تاريخ اليهود الحقيقي، باعتبار أصلهم وقومهم وعنصرهم وجنسهم، وهو ألصق بهم، وأصدق في الدلالة على نفسيتهم وطبيعتهم.

هذا التاريخ نتبرأ نحن منه، وننكره، وننكره أصحابه، ونحكم عليهم بالكفر والظلم والفسوق والعصيان.

هذا تاريخهم نتركه لهم، فليسجلوه وليأخذوه،وليطأطئوا رؤوسهم خجلاً عندما يذكرونه، أو يتذكرونه، أو يذكر لهم.

تاريخ اليهود البغيض هو تاريخ طلبهم من موسى رؤية الله جهرة، ورفضهم إعطاء العهد عن بني إسرائيل، وتخليهم عن المن والسلوى، وطلبهم البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل.

تاريخهم هو الكفر بالله، وعبادة العجل من دون الله وعبادتهم المال والذهب.

تاريخهم هو الذل والجبن، ورفضهم الجهاد والقتال ودخول الأرض المقدسة فاتحين.

تاريخهم هو التيه الذي ضربه الله عليهم في سيناء أربعين سنة، وهو

الاعتداء على أحكام الله، وصيدهم الحيتان يوم السبت في تلك القرية، ومسخهم قردة وخنازير.

تاريخهم هو الكفر والكذب، ونقض العهود، ونشر الفجور، والتمرد على الأنبياء، وقتل الصالحين.

تاريخهم هو لعنة الله وغضبه عليهم، تاريخ المسخ والقذف، تاريخ الضياع والتيه والتشريد، تاريخ الذلة والمسكنة، التي ضربها الله عليهم، والتسليط والتعذيب، الذي جعله الله عليهم.

هذا هو تاريخ اليهود الحقيقي فليباهوا به إن استطاعوا، وليفاخروا به إن قدروا.

وما لهم وللأطهار الأبرار من أنبيائهم وصالحيهم، الذين تبرؤا منهم ولعنوهم.!!

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

نحن وأنبياء بني إسرائيل

إن تفريقنا -كما فرق القرآن- بين نوعين من تاريخ بني إسرائيل، وتبنينا لتاريخ أنبيائهم وصالحيهم، وحصر تاريخهم بالظلم والكفر والعدوان، يقودنا إلى كلمة عن موقفنا من أنبيائهم، وهدفنا من ذلك أن نرد على أصحاب "النظرة القومية العربية" الباطلة في صراعنا مع اليهود.

القوميون العرب لايعرفون هذه الحقائق القرآنية، عن بنى إسرائيل وتاريخهم. ولهذا يتعاملون معهم تعاملاً قومياً عنصرياً، وينظرون لهم باعتبارهم قوماً وعنصراً يهودياً، ولهذا يكرهون كل من كان أصله يهودياً، ولو كان صالحاً تقياً، أو نبياً رسولاً، ويمدحون كل من وقف أمام اليهود ولو كان كافراً ظالماً.

قرأنا لقوميين عرب كلاماً، يكرهون فيه أنبياء بني إسرائيل، لأنهم يعتبرونهم يهوداً، يكرهون موسى وهارون، ويحقدون على داود الإسرائيلي، لأنه قتل

«جالوت» الفلسطيني، ويذمون سليمان لأنه ملك يهودي مستبد، أقام الهيكل في بيت المقدس، واستعمر بلاد العرب حتى اليمن، وهذا كفر من هؤلاء، وخروج من دين الله، لأن من أنكر نبياً فقد كفر، ومن كره نبياً أو ذمه أو شتمه فقد كفر، وموسى وهارون وداود وسليمان أنبياء كرام عليهم السلام.

إيماننا بأنبيائهم

إننا نؤمن بأنبياء بني إسرائيل المذكورين في القرآن، ونحبهم ونصلي عليهم، ونتبنى تاريخهم، ونقتدي بهم في مواقفهم، ونعتبر تاريخهم إسلامياً، وأعمالهم إيمانية، والقرآن يأمرنا بذلك:

قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا: سمعنا وأطعنا﴾ (سورة البقرة: ٢٨٥)

وقال تعالى: ﴿وقالوا: كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، قل: بل ملة إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين، قولوا: آمنا بالله، وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾ (سورة البقرة: ١٣٦).

وقال تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقاً، وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً، والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم، أولئك سوف يؤتيهم أجورهم، وكان الله غفوراً رحيماً﴾ (سورة النساء: ١٥٠-١٥٢).

نحن أحق بموسى منهم!

ويعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه النظرة الموضوعية الإيمانية،

إلى صالحي وأنبياء بني إسرائيل، ويدعونا إلى الإيمان بأنبيائهم، ومحبتهم، والثناء عليهم، والاقتداء بهم، وأن نعتبرهم منا ولنا، وأن نجرد اليهود من الانتساب إليهم، أو زعم السير على طريقهم، وأن نعتبر أننا نحن الأولى بأولئك الأنبياء الكرام عليهم السلام.

فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فرأى اليهود تصوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: يوم صالح، نجَّى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنا أحق بموسى منكم، فصامه، وأمر بصيامه".

محمد أحق بموسى -عليهما الصلاة والسلام- من اليهود، لأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم امتداد لرسالة موسى عليه السلام، أما اليهود فلا حق لهم في الانتساب الديني والإيماني إلى موسى عليه السلام، لأنهم كفروا وطغوا وبغوا.

أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحق بموسى من اليهود، لأنها هي المظهر العملي الواقعي لرسالة موسى عليه السلام، واليهود الكافرون البغاة لا يمثلون رسالة موسى عليه السلام.

إذن نرفع هذا الشعار الذي علمنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقول: "نحن أحق بموسى منهم".

فموسى عليه السلام لنا، وتاريخه تاريخنا، وحياته وسيرته عز لنا وقدوة لنا، هو منا ونحن منه، وهكذا كل أنبياء بني إسرائيل.

نحن أحق بهارون منهم، نحن أولى بداود وسليمان منهم، نحن أحق بزكريا ويحيى منهم، نحن أولى بعيسى منهم ومن النصارى، نحن أمة الوراثة الإيمانية لجميع رسل وأنبياء الله.

أنبياؤهم يتبرأون منهم

ثم ما لليهود وأنبيائهم؟ولماذا يزعمون أنهم منهم؟ أو أنهم على طريقهم؟ وهم كفار بغاة ظالمون!

لقد أخبرنا القرآن أن أنبياءهم تبرءوا منهم، ولعنوهم، وغضبوا عليهم.

موسى عليه السلام يخاطبهم قائلاً: ﴿يا قوم لم تؤذونني،وقد تعلمون أني رسول الله إليكم؟ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم،والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ (سورة الصف: ٥)

ولما طلب منهم موسى نفسه عليه السلام دخول الأرض المقدسة فاتحين، جبنوا عن ذلك،ورفضوا وتمردوا،وقالوا: ﴿إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلا،إنا ههنا قاعدون﴾ (سورة المائدة : ٢٤)

عندها تبرأ موسى منهم، ولجأ إلى الله، وطلب منه أن يفرق بينه وبينهم، ﴿قال: رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ (سورة المائدة: ٢٥)

وداود عليه السلام -نبيهم ورسولهم وملكهم- يتبرأ منهم ويلعنهم، قال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل، على لسان داوود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ (سورة المائدة : ٧٨).

كل اليهود الآن كفار

نختم كلامنا عن موقفنا من تاريخ وأنبياء بني إسرائيل بالقول:

إن تقسيمنا بني إسرائيل إلى صنفين،وتقسيمنا تاريخهم إلى قسمين، إنما هو في الكلام على بني إسرائيل السابقين، الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم،فمؤمنهم منا، وكافرهم عدونا.

أما بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم مطالبون بتصديقه والإيمان به واتباعه، والدخول في دينه، فمن فعل ذلك فهو مؤمن مسلم، أخ لنا وواحد منا.

ومن رفض ذلك وأصر على يهوديته، فهو كافر، مخلد في نار جهنم، أي أن كل اليهود بعد البعثة كفار، وموقفنا من تاريخهم البراءة والإنكار.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار».



الفصل السابع

لا نقول «دولة إسرائيل»

اليهود يستغلون اسم «إسرائيل»

يستغل اليهود اسم إسرائيل، في مرحلة قوتهم المعاصرة في هذا الزمان، ويعنون بذلك أنهم مرتبطون بنبي الله «إسرائيل» عليه السلام، وأنهم على دينه، وأنهم ورثته وأبناؤه، ومن ثم فإن الله راضٍ عنهم، ومؤيد لهم.

فلما أقاموا دولتهم في فلسطين، أطلقوا عليها اسم «دولة إسرائيل» وكثير من مؤسساتهم ووزاراتهم ومرافقهم أخذت اسم إسرائيل: فبنك إسرائيل، وعَلَم إسرائيل، وأرض إسرائيل، وصوت إسرائيل، وجيش الدفاع الإسرائيلي، ووزارة الخارجية الإسرائيلية. . . وهكذا.

إنهم يهدفون إلى إضفاء البعد الديني على كيانهم ووجودهم على أرض فلسطين، وبذلك يستجيشون المشاعر والعواطف الدينية عند اليهود في العالم، ليهاجروا و يدعموا كيانهم، ويستثمرون كل طاقات وقدرات ومواهب اليهود في العالم، لتصب في مصلحة كيانهم.

يفعلون ذلك، لأنهم يعرفون أثر الدين في مخاطبة الشعوب، والنهوض بها، واستثمار طاقاتها، فخاطبوا أفرادهم خطاباً دينياً توراتياً، ونجحوا في تجنيد هؤلاء الأفراد لمصلحة كيانهم.

وهم باستغلالهم اسم «إسرائيل» ذي الأبعاد الدينية، يريدون التأثير على شعوب العالم النصرانية، وكسب تأييدها لأعمالهم وكيانهم، لأن هذه الشعوب تدَّعي إيمانها بالإنجيل وبالتوراة أيضاً، فالتوارة هي العهد القديم، والإنجيل هو العهد الجديد، والاثنان يكوّنان الكتاب المقدس، الذي يؤمن به النصارى.

يقدِّم اليهود كيانهم على أرض فلسطين للشعوب والدول والحكومات النصرانية، باعتباره تحقيقاً لنبوءات العهد القديم في الكتاب المقدس، ومظهراً عملياً لوعود الله لإبراهيم وإسرائيل عليهما السلام، ويفهمونهم أن دعم وتأييد كيان اليهود على أرض فلسطين، من لوازم ومقتضيات إيمان النصارى بالإنجيل.

وصدَّق النصارى الغربيون أفراداً وحكومات هذه الادعاءات اليهودية، وانطلت عليهم هذه الحيلة اليهودية، وسارعوا إلى تأييد اليهود ودعمهم، وتسابقوا في تقديم كل عون ممكن لهم. ويعتبر أولئك النصارى أنفسهم في حلف واحد مع اليهود، ضد الخصم المشترك للفريقين، الإسلام والمسلمين.

ترديد بعضنا اسم «إسرائيل»

تغيب تلك الحقائق عن بعضنا، عند كلامهم عن اليهود على أرض فلسطين، ولا يفطنون لذلك الاستغلال اليهودي لاسم إسرائيل، فيتكلمون بدون انتباه وحيطة، ويرددون كلام اليهود والنصارى، تسمع لمتكلمين وخطباء عرب، وتقرأ لكاتبين وباحثين عرب، وتطلع على كلام صحفيين ومذيعين عرب، يقولون هذا الكلام: دولة إسرائيل وجيش إسرائيل، وصوت إسرائيل، وبنك إسرائيل...

يطلقون اسم «إسرائيل» على وزارات ومؤسسات ومرافق كيان اليهود، وينسبون ما عندهم إلى إسرائيل.

ونرى أن فعل هؤلاء المتكلمين والكاتبين العرب، مظهر من مظاهر تأثرنا نحن بما يردده ويقوله اليهود، وغفلتنا في كلامنا وعباراتنا، وعدم انتباهنا لأهداف ووسائل أعدائنا.

إننا ندعو المتكلمين والكاتبين والصحفيين والمذيعين، إلى عدم إطلاق اسم «إسرائيل» على كيان اليهود، وعدم نسبة ما عندهم إلى إسرائيل، وإنما يقولون «يهود» بدل «إسرائيل».

من هو «إسرائيل»؟

من هو إسرائيل الذي ينتسب اليهود له؟ ويتمسحون به؟ وما موقفنا نحن منه؟

«إسرائيل» نبي كريم حبيب، من أنبياء الله تعالى، إنه «يعقوب» بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم الصلاة السلام. قال تعالى: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين: من ذرية آدم، وممن حملنا مع نوح، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا﴾ (سورة مريم : ٥٨).

إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام، وشجرة النبوة منه لها فرعان أو غصنان: الفرع الإسماعيلي، والفرع الإسرائيلي.

إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقد ختمت النبوة بالفرع الإسماعيلي، لأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله وخاتم النبيين، من ذرية إسماعيل عليه السلام.

والفرع الإسرائيلي يتمثل في أنبياء بني إسرائيل، فإسحاق ويعقوب «إسرائيل» ويوسف -عليهم الصلاة والسلام كلهم أنبياء في هذه السلسلة المباركة: الجد والأب والابن، ولهذا كان يوسف عليه السلام، هوالكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم.

وأنبياء بني إسرائيل كلهم من نسل إسرائيل «يعقوب» مثل: موسى وهارون، وداود وسليمان، وإلياس واليسع وذوالكفل، ويحيى وزكريا وعيسى - عليهم الصلاة والسلام.

وقال تعالى عن «إسرائيل» الذي عاش قبل بني إسرائيل، وقبل إنزال التوراة: ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه، من قبل أن تنزل التوراة، قل: فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ (سورة آل عمران: ٩٣).

أي: إن الله أحل لبني إسرائيل الطعام، إلا طعاماً كان قد حرمه أبوهم «إسرائيل» - أي: يعقوب- على نفسه، بأن امتنع عنه تقرباً إلى الله، فالتزم أبناؤه بالإمتناع عنه اقتداءً بأبيهم، فحرمه الله عليهم. وهذا كان قبل التوراة، لأن يعقوب عاش قبل نزول التوراة، فالتوراة أنزلها الله على موسى، وبين يعقوب وموسى عليهما السلام قرون عديدة.

لماذا سمي يعقوب «إسرائيل"؟

يعقوب وإسرائيل اسمان أعجميان عبريان، جامدان غير مشتقين، فلا نبحث عن سبب تسمية نبي الله يعقوب بهما.

ونرفض الخرافات والإسرائيليات الواردة في العهد القديم عن ذلك، فقد قالوا: إن أمه كانت حاملة بتوأم، فلما وضعت، نزل أخوه «عيسو» أولاً، ثم نزل «يعقوب» إثره، وهو ممسك بعقب «عيسو»، فسماه أبوه يعقوب من العقب، لأنه أمسك بعقب عيسو، وهذا هراء سخيف وباطل.

وقد ورد في العهد القديم المحرف، كلام فاجر كافر، عن سر تسميته «إسرائيل». فقال اليهود الكافرون المحرفون للتوراة: إن يعقوب كان يسير في الطريق فجر يوم، فتجلى له «الرب»، فتكلما، وتصارعا، فصرع يعقوب «الرب»، ثم تصارعا، فصرع يعقوب الرب ثانية، ثم صرعه ثالثة، فقال له «الرب» وهو مصروع تحت يعقوب: قم عني وأطلقني، قبل أن يظهر الصباح، فيراني أحد الناس مصروعاً، فأفتضح، فقال يعقوب للرب: لن أطلقك إلا إذا باركت نسلي، وأعطيته الأرض المقدسة، ففعل الرب، وباركه وبارك نسله، وأعطاهم أرض الميعاد!!

أوردنا هذا الكلام المذكور في العهد القديم، من باب «ناقل الكفر ليس بكافر» تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

قالوا: وسمى الله يعقوب من وقتها «إسرائيل» أي: الذي صارع الرب.

إننا لا نعرف الحكمة من تسمية الله ليعقوب «إسرائيل»، وكل ما نعرفه -من خلال آيات القرآن- أن الله أطلق عليه إسمين: يعقوب وإسرائيل.

من هم «بنو إسرائيل»؟

بنو إسرائيل هم أولاد يعقوب عليه السلام، فقد رزق الله يعقوب اثني عشر ولداً، يوسف وإخوانه. ومن هؤلاء الأبناء الاثني عشر، تفرعت أسباط وأفخاذ وقبائل بني إسرائيل. وقد أقام الأخوة في مصر عند أخيهم يوسف عليه السلام، وهناك تكاثر أولادهم وتناسلوا.

فلما جاءهم موسى عليه السلام نبياً، خرجوا معه من مصر إلى الصحراء في سيناء، فلما عطشوا وطلبوا الماء، أمر الله موسى أن يضرب الحجر بعصاه، فخرج من الحجر اثنتا عشرة عيناً، على عدد أسباطهم وقبائلهم.

قال تعالى: ﴿وإذ استسقى موسى لقومه، فقلنا اضرب بعصاك الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، قد علم كل أناس مشربهم﴾ (سورة البقرة: ٦٠).

وبقي اسم بني إسرائيل يطلق عليهم حتى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وآيات القرآن صريحة عندما كانت تخبر عنهم، وعن تاريخهم، وعن أعمالهم، وعن خطاب أنبيائهم لهم، وعن تكليف الله لهم، وعن مخالفاتهم وأخطائهم، فقد كانت تطلق عليهم اسم «بني إسرائيل».

متى سماهم القرآن «يهوداً»؟

أطلق القران اسم «اليهود» عليهم، بعد البعثة، وبعد كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم. وقد جعل بعض العلماء كلمة «اليهود» مشتقة من «الهود»، والهود هو الرجوع برفق، والتوبة إلى الله تعالى.

قال موسى عليه السلام ومعه قومه التائبون: ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا، وأنت خير الغافرين، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة، وفي الآخرة إنا هدنا إليك﴾ (سورة الأعراف: ١٥٥-١٥٦)

أي: إنا هدنا وتبنا وعدنا ورجعنا إليك.

وليست كلمة «اليهود» مشتقة من «الهود» وهو الرجوع والتوبة، فهم كفار، وليسوا تائبين وراجعين إلى الله، وإن زعموا ذلك.

كلمة «يهود» اسم علم أجنبي جامد غير مشتق، خاص بذلك الشعب الكافر الملعون. والملاحظ أن كلمة «اليهود» لم ترد إلا في القرآن المدني، حيث وردت ثماني مرات في سور: البقرة والمائدة والتوبة. وعندما أورد القرآن المدني اسم «اليهود» أورده في سياق الذم وليس المدح.

إن عدول القرآن المدني عن اسم بني إسرائيل إلى اسم اليهود، وإطلاقه اسم اليهود، ليوحي لنا ببعض الحكم منها: وجوب اتباعنا لأسلوب القرآن في التفرقة بين الإسمين: اليهود وبني إسرائيل.

عندما ألغى القرآن عنهم اسم بني إسرائيل، أراد أن يجردهم من الوراثة الحقيقية لإبراهيم وإسرائيل عليهما السلام، فرغم أنهم قد يكونون من نسل إسرائيل، إلا أنهم ليسوا وارثين له، لأنهم ليسوا على دينه.

كذلك أراد القرآن أن يجردهم من الظلال والمعاني الدينية، فهم ليسوا على دين الله، ولا مقربون عند الله.

أما اسم اليهود الذي أطلقه عليهم فهو يحمل الظلال والمعاني العنصرية والقومية والطائفية فقط.

لما كانوا مؤمنين سماهم الله «بني إسرائيل»، فلما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم، جردهم من ذلك الاسم الإيماني، وأعطاهم الاسم الكافر «اليهود».

هم «يهود» وليسوا إسرائيليين

الشعب الكافر الملعون المحتل الغاصب لفلسطين، اسمه «اليهود»، وهم ليسوا على دين، وليسوا على شيء، وليسوا على حق، وليسوا مع الله، وأنبياؤهم بريئون منهم، وإسرائيل النبي الحبيب المبارك بريء منهم.

وندعو الكاتبين والمتكلمين والصحفيين إلى إطلاق الاسم الجدير بهم، الذي أطلقه الله عليهم، فيقولون: دولة اليهود، وجيش اليهود، وصوت اليهود.

ندعوهم إلى إبقاء ذلك الاسم الجميل «إسرائيل» على نظافته ونقائه، وعدم تلويثه بإطلاقه على هذا الشعب الحاقد الكافر الملعون. وبذلك نردّ على بعض مزاعم اليهود، ونبطل بعض أهدافهم من استغلال اسم «إسرائيل».

الفصل الثامن

الرسول يتسلم مفاتيح الأرض المقدسة

عند إمامته بالأنبياء ليلة الإسراء

شاء الله الحكيم سبحانه أن يكون الإسراء برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام في مكة، إلى المسجد الأقصى في القدس، وأن يريه هناك في المسجد الأقصى ما يريه من آياته، وأن يكون معراجه من المسجد الأقصى إلى السموات العلا، وأن يريه هناك ما يريه من آياته.

وهذه الآيات الربانية التي أراها الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، ليست له وحده، ولا خاصة به، وإنما هي للأمة المسلمة من بعده، على اختلاف أجيالها.

لقد رأى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم آيات، وهو في طريقه من مكة إلى بيت المقدس، ورأى آيات وهو متوقف في المسجد الأقصى، ورأى آيات عندما عرج به إلى السموات العلى.

وقدم هذه الآيات لأمته، وأخبرها بها، لتقف أمامها، وتأخذ منها العبر والدروس والعظات.

من آيات الإسراء المتعلقة بالأرض المقدسة

ولن نتكلم عن هذه الآيات المختلفة كلها، لأنها تحتاج إلى كلام مطول، وإنما سنقف هنا مع بعض تلك الآيات المتعلقة بالأرض المقدسة، ونظرة الإسلام لها، والأمة التي ترثها وتستحقها.

وسنأخذ هذه الآيات من الأحاديث الصحيحة التي أخبر فيها رسول الله

صلى الله عليه وسلم، عن بعض ما حدث في رحلة الإسراء والمعراج.

روى الإمام مسلم في صحيحه (حديث رقم ٢٥٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله قال: «أتيت بالبراق -وهو دابة أبيض، طويل، فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه- فركبته، حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد، فصليت ركعتين...»

سرعة دابة البراق الفائقة

قدّم جبريل عليه السلام ليلة الإسراء البراق، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليركبه.

وهذه البراق دابة خاصة، ليست كدواب الأرض أو مخلوقاتها، فقد خلقها الله خلقاً خاصاً، بسرعة وقدرة خاصة تفوق سرعة دواب الأرض. واسمها يدل على ذلك، فالبراق مشتق من البرق، وسرعة البرق أو الضوء معروفة.

يكفي أن نعرف أن هذه البراق، تضع حافرها عند نهاية طرفها ونظرها، أي أن المسافة البعيدة ما بين مكة إلى بيت المقدس، قطعتها هذه البراق -وعليها جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام- في خطوات يسيرة، قد لا تتجاوز عشر خطوات، وهذا يعني أن قطع هذه المسافة استغرق أقل من دقيقة.

هذا معنى إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البراق: «وهو دابة، أبيض، طويل، فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه...»

ولا يستغربن أحد من سرعة البراق، ولا ينكرن ذلك. فالله الذي علم الناس اختراع وصنع الطائرات، التي تفوق سرعتها سرعة الصوت، والصواريخ عابرة القارات، وسفن الفضاء، هو الذي خلق «البراق» بهذه القدرات والطاقات!

حلقة باب الأقصى مربط دواب الأنبياء

وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس، وأتى المسجد

الأقصى، وربط البراق الدابة بالحلقة، التي على باب المسجد الأقصى، والتي كان الأنبياء السابقون -عليهم الصلاة والسلام- يربطون بها دوابهم، التي يركبونها عند قدومهم المسجد الأقصى، للصلاة فيه.

وهذا الفعل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأخبار عن فعل الأنبياء السابقين، دليل على الأصالة التاريخية للمسجد الأقصى، وأنه كان مبنياً على هذه البقعة المباركة من بيت المقدس قبل آلاف السنين.

وقد سبق أن ذكرنا في موضع سابق، أن المسجد الأقصى بني في بيت المقدس قبل أن يخلق الله بني إسرائيل، وقبل أن يأتي أبوهم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام، واعتمدنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح، في أن أول المساجد بني أولاً هو المسجد الحرام في مكة، والثاني هو المسجد الأقصى في بيت المقدس، والمدة الزمنية بينهما هي أربعون سنة. فإذا كان إبراهيم عليه السلام هو باني المسجد الحرام في مكة، فيكون هو الذي بنى المسجد الأقصى، بعد ذلك بأربعين سنة.

ونعلم -تاريخياً- أن المسجد الأقصى قد عدت عليه العوادي، وتأثر بالمتغيرات، وهدم بناؤه فيما بعد، ولم يكن ليلة الإسراء مسجداً قائماً متكاملاً.

هو مسجد أقصى باعتبار ما كان وما سيكون

كانت أساسات المسجد الأقصى موجودة، وبعض أعمدته وأطلاله باقية، ومنها تلك الحلقة التي ربط بها رسول الله صلى الله عليه وسلم البراق، ليلة الإسراء، وقد سمّى الله هذه الإطلال والأعمدة والأساسات مسجداً، وإن لم يكن بناء المسجد قائماً، حيث قال: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» على اعتبار ما كان، واعتبار ما سيكون.

فقد كان مسجداً قائماً من قبل، واستمر مسجداً قائماً آلاف السنين، وكان

يأتيه الأنبياء السابقون على دوابهم للصلاة فيه، حيث أتاه إبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى، وغيرهم، عليهم الصلاة والسلام.

وسيعود في المستقبل مسجداً قائماً، عندما ترثه أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وتطهره من استعمار الرومان، ورجس اليهود.

وهذا ما حصل في الفتوحات الإسلامية، ثم جدد بناءه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك.

ولقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقصى، بعد أن ربط البراق على حلقة الباب، فصلى فيه ركعتين، وهذا دليل على أصالة هذا المسجد، وعلى تخصيصه للصلاة ولعبادة الله سبحانه.

إمامة الرسول بالأنبياء في الأقصى

ثم جمع الله الأنبياء والرسل السابقين لمحمد صلى الله عليه وسلم، في تلك الليلة، في المسجد الأقصى، ومنهم أنبياء ورسل بني إسرائيل، فأمّهم في الصلاة، أي صلى هو بهم إماماً، وصلوا هم خلفه مأمومين!!

وجمعهم هذا جمع غيبي، لا نعرف كيف جرى، وهو غير خاضع للقوانين والأسباب المادية، لأن الرسل غادروا هذه الحياة الدنيا، والتحقوا بالرفيق الأعلى، فهم في حساب البشر أموات.

ولكنهم عند الله أحياء، حياة خاصة غيبية، كما أراد الله سبحانه وتعالى.

ثم إن صلاتهم في المسجد الأقصى مأمومين، خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقدم لنا بعض الدلالات

اعتراف الأنبياء بأن محمداً هو أفضلهم وخاتمهم

منها: اعتراف هؤلاء الرسل بفضل ومنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومكانته عند الله، وتسليم منهم بأنه أفضل الخلق وأكرمهم، وأقربهم

إلى الله سبحانه، فهو إمام الخلق أجمعين، وإمام الأنبياء والمرسلين، في السير في طريق الله، وفي القرب من الله.

ومنها: اعتراف هؤلاء الأنبياء والمرسلين، بختم النبوة والرسالة بنبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا وحي بعده، ولا نبي يأتي بعده، ولا رسالة بعد رسالته.

وهو اعتراف منهم أيضاً بنسخ رسالاتهم برسالته، ونسخ كتبهم بكتابه، فلاعمل بالتوراة أو الزبور أو الإنجيل، بعد إنزال الله للقرآن.

ومنها: دعوة هؤلاء الأنبياء والمرسلين -وبخاصة أنبياء بني إسرائيل- لأقوامهم وأتباعهم بالدخول في الإسلام، والإيمان بالقرآن، واتباع محمد صلى الله عليه وسلم، والتخلي عن ماكانوا عليه من اليهودية أو النصرانية، إن أرادوا القبول عند الله، ودخول جنة الله.

فإن لم يستجيبوا له، ولم يدخلوا في دينه، فهم كفار، مخلدون في النار، وإن ادعوا أنهم على طريق إبراهيم أو موسى أو عيسى، عليهم الصلاة والسلام.

تسليمهم مفاتيح الأرض المقدسة لمحمد وأمته

ومنها: تسليم هؤلاء الأنبياء والمرسلين «مفاتيح» الأرض المقدسة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته.

فمعظم هؤلاء عاش على الأرض المقدسة، وكان هو المسؤول عنها، الراعي لها، الخليفة عليها، وأنوار رسالته ونبوته انتشرت عليها، وبقيت حلقات النبوة والرسالة والخلافة تتابع على الأرض المقدسة...

إلى أن ختمت هذه الحلقات بنبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم الدائمة حتى قيام الساعة.

وفي ليلة الإسراء جاء الأنبياء وسلّموا محمداً -صلى الله عليه وسلم-

المسؤولية والخلافة، والأمانة و«العهدة» وأوكلوا له -ولأمته من بعده- مهمة الأرض المقدسة، ورعايتها وحمايتها، والخلافة عن الله فيها، واستمرار الإيمان عليها، حتى قيام الساعة.

لقد سلم الأنبياء السابقون -ومنهم أنبياء بني إسرائيل- مفاتيح الأرض المقدسة لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، وأعلنوا بذلك عن انتهاء استخلاف أقوامهم من اليهود والنصارى، وانتهاء مسؤولية هؤلاء الأقوام على الأرض المقدسة، وتحويل هذه الخلافة والمسؤولية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وانتقال الإشراف على الأرض المقدسة إلى هذه الأمة، واستمرار هذه المسؤولية فيها حتى قيام الساعة!

التسلم والتسليم في المسجد أثناء الصلاة

وجعل الصلاة ميداناً ومجالاً لهذا الانتقال، وجواً مناسباً للتسلم والتسليم، حيث محمد صلى الله عليه وسلم هو الإمام، والأنبياء خلفه مأمومون مسلّمون له، يعطي دلالة واضحة على أهمية الصلاة والعبادة، ووجوب تعمقها في أمة الإمامة والخلافة، التي تناط بها مسؤولية الإشراف على الأرض المقدسة.

الأقوام السابقون من اليهود والنصارى، ليسوا مصلين لله صدقاً، ولاعابدين له حقاً، ولذلك انتزع الله منهم هذه الخلافة والإمامة، وجعلها في أمة العبادة والصلاة، وتسلم رسولها محمد صلى الله عليه وسلم هذه المهمة والمسؤولية، من إخوانه الأنبياء في الصلاة!

الرسول هو الفاتح للأرض المقدسة نظرياً

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول فاتح للأرض المقدسة، ليلة الإسراء. وهذا منه عهد لأمته من بعده، بأن تفتح هذه الأرض المقدسة عملياً، بعد أن فتحها هو نظرياً، وتسلّم مفاتيحها من إخوانه الأنبياء، وهذه بشرى منه لأمته، بأنها ستفتح هذه الأرض المقدسة، وتنشر فيها الإسلام، وتحقق فيها

الخلافة الربانية الراشدة.

ولقد حققت هذه الأمة هذا الأمر بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وفهمت منه هذا الإيحاء، وأخذت عنه هذه الإشارة.

وصف الرسول لبعض الأنبياء ليلة الإسراء

وقد تعرّف رسول الله صلى الله عليه وسلم، في ليلة الإسراء العظيمة، وفي تلك الحفلة الإيمانية المباركة في المسجد الأقصى -التي جرى فيها التسلم والتسليم- على إخوانه الأنبياء وذكر لنا صفات بعضهم.

روى الإمام مسلم في صحيحه (حديث رقم: ٢٧١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عرض على الأنبياء، فإذا موسى: ضرب من الرجال، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام: فإذاأقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه: فإذا أقرب من رأيت به شبهاً، صاحبكم -يعني نفسه- ورأيت جبريل عليه السلام: فإذا أقرب من رأيت به شبهاً، دحية بن خليفة».

موسى عليه السلام: ضرب في جسمه، أي متوسط معتدل، لا هو بالطويل ولا بالقصير، ولا بالنحيف ولا بالسمين.

وعيسى عليه السلام: يشبه عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه، وفي رواية أخرى (مسلم رقم: ٢٧٢) أن عيسى عليه السلام: «ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس».

أي: عيسى عليه السلام مربوع الجسم، لا هو بالطويل ولا بالقصير، وهو أحمر اللون، جميل المنظر، كأنما خرج من حمام، لأن الديماس هو الحمام.

وأشبه الناس بإبراهيم عليه السلام هو محمد صلى الله عليه وسلم.

أما جبريل عليه السلام، فأشبه الناس به هو «دحية بن خليفة الكلبي» رضي

الله عنه، وكان من أجمل الصحابة.

لقد شاء الله الحكيم سبحانه أن يجعل الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، واجتماعه بالأنبياء في بيت المقدس، وإمامته بهم في المسجد الأقصى، إيذاناً وإعلاناً بانتقال المسؤولية والإشراف على الأرض المقدسة، إلى هذه الأمة، وتسليم مفاتيح هذه الأرض المقدسة إلى إمام هذه الأمة، محمد صلى الله عليه وسلم، ثم إلى خلفائه من بعده!!

الفصل التاسع

الفرات والنيل نهران إسلاميان

وما بينهما أرض مقدسة إسلامية

روى الإمام مسلم في صحيحه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، من حديث الإسراء والمعراج الطويل، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حدث عن ما رآه في ليلة المعراج، فقال: «إنه رأى أربعة أنهار، يخرج من أصلها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل: ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل: ماهذا؟ قال: هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا أخرجوا منه لم يعودوا فيه، آخر ما عليهم! ثم أتيت بإناءين أحدهما خمر والآخر لبن، فعرضا علي، فاخترت اللبن، فقيل: أصبت، أصاب الله بك، أمتك على الفطرة. . .» (رواه مسلم في كتاب الإيمان، حديث رقم: ٢٦٤).

وندعو القراء الكرام إلى تخيل -مجرد تخيل- كثرة عدد الملائكة، الذين لا يحصى عددهم إلا الله، فإذا كان يدخل البيت المعمور منهم في الجنة كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه، فمعنى هذا أنهم يزيدون في كل يوم سبعين ألفاً، على الأقل! فكم هو عدد الملائكة يا ترى؟؟

الفطرة ترفض شرب الخمر

كما ندعو القراء الكرام إلى استخراج دلالة هامة، من توفيق الله لرسوله، صلى الله عليه وسلم، أن يختار إناء اللبن على إناء الخمر، وتعليق جبريل على ذلك، بأنه قد أصاب الفطرة، وأن أمته على الفطرة، ليخرجوا من هذا بحقيقة قاطعة، وهي أن الإسلام هو دين الفطرة السليمة، وأن المسلمين هم الذين على

الفطرة الصافية، وأن أحكام الشريعة الإسلامية -في التحليل والتحريم- تناسب الفطرة وتتفق معها، وتراعيها.

فالإسلام يراعي الفطرة، ويحافظ عليها، عندما حرم شرب الخمر، وحرم باقي الخبائث، وأحل الاستمتاع بالطيبات.

أما الذين يشربون الخمر، فهم ضد الفطرة، بل هم في حرب وصراع معها، وشرب الخمر ليس مظهراً حضارياً، أو ممارسة سلوكية تقدمية، أو دليل ارتفاع مستوى الذوق الإنساني، كما تزعم الجاهلية الأرضية، ويدعي أصحابها الجاهليون الجاهلون!

إن شرب الخمر مخالفة للفطرة الإنسانية السوية، وتصرف بدائي متخلف، ونزول بالذوق الإنساني للحضيض، وهذا دليل على انحراف نفسية صاحبه، واعوجاجه وتمزقه وضياعه.

وإذا خيّر كثير من الناس، في هذا العالم بين كأس اللبن وكأس الخمر، فكم منهم من ينسجم مع الفطرة، ويختار كأس اللبن؟ كما فعل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكم منهم من يتصادم مع الفطرة، ويختار كأس الخمر؟ كما يفعل الجاهليون المعاصرون!!

جمال أنهار الجنة الباطنة

ووقفتنا الهامة هنا مع دلالة الأنهار الأربعة، التي رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، أما النهران الباطنان فهما نهران خاصان، في الجنة، من أنهار الجنة الكثيرة، التي تجري من تحت أشجارها، منها -على سبيل المثال- قوله تعالى: «وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أن لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً، قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل، وأتوا به متشابهاً، ولهم فيها أزواج مطهرة، وهم فيها خالدون» (سورة البقرة: ٢٥).

ومنظر عيون الماء تجري تحت الأشجار، منظر بهيج، يسر النفس، ويسعدها، وهذا أمر ملحوظ في هذه الدنيا.

فما بالك بمنظر الأنهار تجري من تحت أشجار الجنة، وتسير في جناتها وبساتينها، وتمر من أمام قصورها وبيوتها، وتنبت على جوانبها أشجار الجنة المختلفة؟ وكم تسعد نفوس المؤمنين، وهي تنعم بهذه المناظر، وهم يستمتعون بذلك النعيم المقيم؟

من أين ينبع الفرات والنيل؟

الأمر الذي يحتاج إلى بيان وتوضيح هو «النهران الظاهران» اللذان رآهما الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة، وهما النيل والفرات!

لا ينبع النيل والفرات من الجنة حقيقة، كما قد يذهب إلى ذلك بعض من لا يفقه هذا الحديث، وماء هذين النهرين لم ينزل من الجنة، كما قال بعض من لا يفقهون الحديث.

كل ذي علم وثقافة يعلم أن نهر النيل ينبع من جبال وهضاب أثيوبيا في شرق أفريقية، ويسير في أراضي أثيوبيا والسودان ومصر، ويصب في البحر الأبيض المتوسط.

وكل ذي علم وثقافة يعلم أن نهر الفرات ينبع من جبال وهضاب تركيا، ويجري في أراضي تركيا وسوريا والعراق، ويصب مع نهر دجله في الخليج العربي.

كيف هما من أنهار الجنة؟

فكيف رآهما الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو في الجنة ليلة المعراج؟ وما دلالة ذلك، ولماذا هذان النهران دون باقي الأنهار التي تجري في بلاد المسلمين؟ كنهر الأردن، ونهر العاصي، ونهر السند؟

إن رؤية هذين النهرين -دون ما سواهما من أنهار بلاد المسلمين- ليلة

المعراج في الجنة، يقدم آية باهرة للمسلمين، ويعطي أهمية خاصة لهذين النهرين، وللأرض الواقعة بينهما، ويشير إلى حقيقة الصراع على هذين النهرين، وعلى الأرض الواقعة بينهما!

إن هذا الحديث الصحيح يدل على أن النيل والفرات نهران إسلاميان، وأنهما للمسلمين، الذين سيملكونهما، وسيملكون ما بينهما، وسيملكون ما حولهما.

كما يدل على أن الأرض الواقعة بين الفرات والنيل أرض إسلامية، وهي أرض مباركة مقدسة، وليست أرض "ميعاد" لليهود، ولا أرض "مسيح" للنصارى، ولا أرضاً لأي أقوام آخرين من غير المسلمين!

طبيعة النهرين والأرض بينهما

إن هذا الحديث يشير إلى أطماع الأمم في الفرات والنيل، وأطماعهم في الأرض الواقعة بينهما!

والتاريخ القديم والوسيط والمعاصر، يدل على أهمية الفرات والنيل وأهمية الأرض بينهما، ويخبر عن أطماع الأمم والدول والشعوب في أرض المنطقة، وفي مياه النهرين.

وهذا التاريخ، يخبر عن كون الأرض المباركة المقدسة، بين هذين النهرين، هي أرض الحسم لكثير من الأحداث والحركات والمعارك، وهي أرض المواجهة بين كثير من الجيوش والأقوام.

إنها أرض حية، أرض الأحداث الساخنة، وأرض المواجهة الحادة، إنها أرض المعارك، وأرض الجولات، وأرض التضحيات، وأرض الآلام والآمال، وأرض الدماء والأشلاء، وأرض الجهاد والرباط، وأرض الحشد والاستشهاد!!

هما إسلاميان وبينهما أرض إسلامية

الأرض المباركة المقدسة، الواقعة بين النهرين الإسلاميين: النيل والفرات،

هي أرض الإيمان والإسلام، منذ بداية التاريخ الإنساني، وحتى قيام الساعة.

عاش على هذه الأرض الإسلامية المباركة، أنبياء كرام كثيرون، منهم: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وهارون، ولوط، ويونس، وشعيب، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وإلياس، واليسع، وعيسى، عليهم الصلاة والسلام.

هي أرض مهبط الوحي، على رسل الله المقيمين عليها، وهي أرض كتب الله المقدسة، النازلة على أنبياء الله، كصحف إبراهيم وموسى، وكالتوراة والزبور والإنجيل.

كم أقام على هذه الأرض الإسلامية المقدسة، من الأقوام السابقين، وكم طمع فيها من الأقوام السابقين، وحاولوا استعمارها والسيطرة عليها، فزالت أطماعهم، وانتهت سيطرتهم مثل: الفراعنة، والبابليون، والأشوريون، والفرس، واليونان، والرومان.

وبعد الفتح الإسلامي طمع فيها الصليبيون، واستعمروها عشرات السنين، فتحررت الأرض منهم، وزالت أطماعهم، واجتاحها التتار، فهزمهم الله على ثراها.

بين النظرة الإسلامية والنظرة اليهودية

وفي العصر الحديث طمع فيها اليهود، وبنوا مخططاتهم على السيطرة عليها، ونجحوا في ذلك إلى حين، وسيحل بهم ما حل بالأقوام السابقين.

الإيمان والإسلام ثابت مستقر، على هذه الأرض، وهو ممتد في التاريخ السحيق، منذ عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو مستمر عليها، منذ الفتح الإسلامي لها، وحتى قيام الساعة.

والكفر على هذه الأرض طارىء شاذ غريب، قصير العمر، سريع الزوال.

النيل والفرات نهران إسلاميان، رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ليلة المعراج، وهذا يدل على أن الأرض التي بينهما أرض إسلامية إيمانية، مباركة مقدسة.

ونحن بحاجة ماسة إلى تأكيد هذه الحقيقة الإيمانية، وترسيخها في أذهان وعقول مسلمي هذا الزمان، لتكون بدهية لا شك فيها، ولا نقاش حولها.

إن هذاالعصر يشهد صراعاً حاداً عنيفاً بين أمتين، على النهرين والأرض الواقعة بينهما.

النظرة اليهودية للنهرين وما بينهما

الأمة اليهودية: التي نجحت في إقامة كيان لها على أرض فلسطين، والتي بدأت عصر الهيمنة اليهودية، التي تحقق الإفساد الثاني لليهود، هذه الهيمنة التي قد تستمر عشرات السنين، لكن هذا كله موقوت، وسيزول ذلك الكيان اليهودي، وينتهي ذلك العصر اليهودي.

النظرة اليهودية تقول: النيل والفرات نهران يهوديان إسرائيليان، وتقول: الأرض الواقعة بين النيل والفرات أرض يهودية، لأنها «أرض الميعاد» التي جعلها الله لإبراهيم، وبنيه وأحفاده من بني إسرائيل اليهود، حتى قيام الساعة!!

ويريد اليهود السيطرة على كل الأرض الواقعة بين الفرات والنيل، ويرفعون شعارهم المعروف: حدودك يا إسرائيل، من الفرات إلى النيل.

تخطيطهم لإنشاء إسرائيل الكبرى

إن اليهود جادون في إنشاء «إسرائيل الكبرى»، التي تأخذ كل «أرض الميعاد»، الواقعة بين الفرات والنيل، وقد حددوا عام ١٩٩٧ موعداً لإنشائها.

ونرى أن الأحداث تسارعت في الأعوام الأخيرة، بل في الأسابيع والأيام الأخيرة، لتحقيق اليهود لهدفهم، وإقامتهم لإسرائيل الكبرى، وهيمنتهم على الأرض، وتحكمهم في الأقطار والدول العربية الواقعة بين الفرات والنيل.

ونرى أن الأمور تسير وفق ما يخطط له اليهود، ولهذا لا نستبعد أن يتمكن اليهود من السيطرة المؤقتة على هذه الأرض، ووصول أطراف هيمنتهم وسلطانهم إلى الفرات والنيل.

لكن هذا كله إلى حين، قد يستمر جيلاً أو جيلين، بل قد يستمر عشرات السنين، لكنه إلى زوال واندحار وانتهاء.

النظرة الإسلامية للنهرين وما بينهما

الأمة الإسلامية لها نظرة أخرى إلى النيل والفرات، والأرض الواقعة بينهما، هذه النظرة تمثل الحق الأصيل، وهي نظرة صائبة صادقة، ناتجة عن حقائق الإسلام، وبصائر الكتاب والسنة.

لقد بنى المسلمون نظرتهم على أساس هذا الحديث الصحيح، الذي أخبر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعض الآيات، التي رآها ليلة المعراج.

الفرات والنيل نهران من الجنة، أي أنهما نهران إسلاميان، وليسا نهرين يهوديين، يمثلان حدود دولة إسرائيل الكبرى، كما يزعم اليهود.

والأرض الواقعة بينهما -بأقطارها السياسية: فلسطين، والأردن، وسوريا، ولبنان، وشرق مصر، وغرب العراق، وجنوب تركيا- هي أرض إسلامية، وهي الأرض المباركة المقدسة، المذكورة في القرآن، وليست «أرض الميعاد» اليهودية، التي يعتبرها اليهود أرضاً إسرائيلية، منذ إبراهيم عليه السلام، وإلى قيام الساعة!

إن هذا الحديث الصحيح، يدعو المسلمين إلى تصويب نظرتهم، إلى هذين النهرين الإسلاميين، والأرض الواقعة بينهما.

إنها ليست أرضاً فلسطينية، ولا أرضاً أردنية، ولا أرضاً سورية، ولا أرضاً لبنانية، إنها ليست أرضاً إقليمية، ولا أرضاً قومية عربية.

إنها أرض إسلامية إيمانية، واقعة بين نهرين إسلاميين، وهي أرض القداسة

والبركة والطهر والخير.

هي أرض الجهاد والرباط، وهي أرض الحشد والحسم، وهي أرض المواجهة والصراع، وهي أرض التحدي والتصدي.

العاقبة للنظرة الإسلامية بإذن الله

هذه الأرض الإسلامية المباركة، ستشهد الصراع العنيف بين المسلمين وبين اليهود، وهذان النهران الإسلاميان -الفرات والنيل-، سيشهدان على ضفافهما المعارك الفاصلة بين المسلمين واليهود.

وسينتهي الصراع بين المسلمين واليهود على النهرين والأرض بينهما، بزوال الوجود اليهودي الزائف، وانتصار الحق الإسلامي الأصيل.

هذه هي أرضكم الإسلامية، وهذه هي قيمتها ومنزلتها عند الله، وهذه هي حقيقة رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج.

النيل والفرات نهران إسلاميان، وليسا نهرين يهوديين.

وما بينهما أرض إسلامية إيمانية مباركة مقدسة، وليست أرض الميعاد اليهودية الزائفة.

الفصل العاشر

مستقبل الكيان اليهودي في فلسطين

كما تقرره سورة آل عمران

وجود اليهود موقوت:

يزعم اليهود أن وجودهم في فلسطين دائم، وأن كيانهم عليها باق، لأن الله أعطاها لهم إلى يوم القيامة، ولهذا أطلقوا شعارهم: «إسرائيل وجدت لتبقى».

أوهموا الناس في الغرب والشرق بصحة هذه المزاعم، فصدقوهم وأيدوهم وساعدوهم، وسرت المزاعم الإسرائيلية إلى عقول بعض العرب المسلمين، فصدقوها، وأيقنوا أن وجود اليهود على فلسطين باق دائم، فتصرفوا وتحركوا وفق هذه القناعة.

ورفض الإسلاميون هذه المزاعم والإشاعات والإسرائيليات، وأيقنوا أن وجود اليهود على أرض فلسطين موقوت، وأن كيانهم اليهودي لا مستقبل له، بل هو إلى زوال واندحار، ونظروا في الأحداث على ضوء هذه الحقيقة، واستشرفوا المستقبل وفق مقرراتها، وحددوا نظرتهم على أساسها.

وقد أوجد الإسلاميون قناعتهم هذه من خلال إسلامهم العظيم، حيث تدبروا نصوص القرآن الكريم، التي تقرر أن وجود اليهود على فلسطين موقوت، وأن كيانهم عليها لا مستقبل له، وأن دولتهم زائلة، فرفعوا شعارهم الداحض لشعار اليهود، وقالوا: دولة اليهود وجدت لتفنى.

وهم يوقنون أن إزالة هذا الكيان اليهودي وعودة فلسطين للإسلام والمسلمين، تحتاج إلى جهود وجهاد، وتضحيات وآلام، وأن الطريق لذلك

طويلة صعبة شاقة مريرة، لكنها هي الطريق الوحيد، وهي الطريق الموصل إلى تحقيق الغاية، ولهذا يتواصون على ذلك، ويستنهضون همم الشعوب لسلوكه والسير فيه.

سورة آل عمران تحدد مستقبلهم

وردت آيات كريمة في عدة سور، تقرر هذه الحقيقة الجازمة، وأهم السور التي تحدثت عن ذلك هي ثلاث سور: آل عمران، والأعراف، والإسراء. وسنقف الآن مع آيات سورة آل عمران، متدبرين لها، مسجلين هذه الحقيقة منها:

قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون، لن يضروكم إلا أذى، وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار، ثم لا ينصرون. ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا، إلا بحبل من الله، وحبل من الناس، وباءوا بغضب من الله، وضربت عليهم المسكنة، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون الأنبياء بغير حق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾(سورة آل عمران: ١١٠- ١٢٠)

«لن يضروكم....»

سيحاربنا اليهود حرباً عنيفة شرسة، وسيحرصون على تحقيق أهدافهم فينا، والقضاء علينا.

إنهم يريدون ردتنا عن ديننا، وتحويلنا عنه إلى الكفر، وذلك لحسدهم لنا: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً، حسداً من عند أنفسهم، من بعد ما تبين لهم الحق﴾ (سورة البقرة : ١٠٩).

وإنهم لن يرضوا عنا، إلا إذا حققنا مرادهم فينا، وتخلينا عن ديننا، واتبعنا ملتهم قال تعالى: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم، مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ (سورة البقرة: ١٢٠)

فإذا لم نستجب لهم، وإذا تمسكنا بإسلامنا، وحافظنا على قرآننا، الذي فيه هويتنا وكياننا ووجودنا، فإنهم سيحاربوننا، وسيبقون يحاربوننا. قال تعالى: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم،حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والاخرة، وأولئك أصحاب النار، هم فيها خالدون﴾ (سورة البقرة: ٢١٧).

ونلاحظ التعبير القراني «ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم»، فإنه يقرر استمرار حرب اليهود ضدنا،وقتالهم لنا، وعدوانهم علينا، وعندما ننظر في مخططات اليهود الماضية ومكائدهم الحاضرة، ومشاريعهم المقبلة، فإننا نقف على مصداقية هذه الحقيقة القرآنية،إن الحرب بيننا وبينهم مستمرة، والقتال بيننا وبينهم دائم، وحتى لو أراد قوم من المسؤولين والمتزعمين منا إيقاف القتال وإنهاء الحرب، فإن اليهود لا يوافقون،وإذا كانت الحرب معهم مستمرة شئنا أم أبينا، فلماذا لا نخوضها رجالاً شرفاء؟ ولماذا لا نخطط لها تخطيط الرجال الشرفاء؟ ولماذا نبقى نتلقى الحرب منهم؟ ولماذا نستقبل خططهم؟ ولماذا نرضى أن ينفذوا فينا مشاريعهم؟

بماذا يوحي لنا قوله تعالى «لن يضروكم» ؟ إنه وعد قرآني جازم، وحقيقة قرآنية قاطعة، صيغ بهذه الجملة المنفية بحرف «لن» الذي يدل على «التأبيد» أي: لن ينجح اليهود في ايقاع الضرر بكم، ولن ينجحوا في «تفريغ» فلسطين منكم،ولن تكون فلسطين لهم، ولن تستقر لهم،ويستريحوا فيها ويتمكنوا منها.

فشل اليهود في هدفهم منا

وها هو الواقع يشهد لصدق هذه الحقيقة القرآنية، فها هم بعدما يزيد على أربعين سنة من إقامة كيانهم وحرصهم على «تهويد» فلسطين التي احتلوها عام ١٩٤٨م،لم ينجحوا في أهدافهم، ولم يلغوا الهوية «الإسلامية» لمسلمي

فلسطين، وها هي «الحركة الإسلامية في «الجليل» و«المثلث» و«النقب»، توجه الناس وتقودهم، وتعلن عن وجودها الإسلامي المتميز، وتثير قلق مخططي اليهود ومفكريهم.

وها هم بعد أكثر من عشرين سنة من احتلال الضفة والقطاع، يفشلون في القضاء على «وجود» أهل فلسطين، وفي تحقيق أهدافهم ضدهم، رغم حرصهم الشديد على ذلك.

فقد انبثقت «انتفاضة» الشعب المجاهد هناك، من ضمير الغيب، وأمضت ستة أعوام من عمرها المديد -إن شاء الله- وها هي تدخل عامها السابع بتصعيد العمليات الجهادية ضد اليهود

إن تنامي قوة الحركة الاسلامية عند مسلمي فلسطين عام ٤٨، وان تنامي الانتفاضة الجهادية عند مسلمي الضفة والقطاع، لهما أكبر دليل «واقعي» على صدق الحقيقة القرآنية «لن يضروكم» ، التي تقرر فشل اليهود في تحقيق أهدافهم في شعبنا الفلسطيني المؤمن المجاهد.

«.... إلا أذى»

«لن يضروكم إلا أذى» مكوّنة من جملتين: الجملة الأولى «لن يضروكم» قررت فشلهم في إيقاع الضرر بنا، والقضاء علينا -كما بينا-

والجملة الثانية «إلا أذى» استثناء من الجملة الأولى، تقرر حقيقة قاطعة جديدة، وهي نجاح اليهود في إيذائنا.

أي أن ما سيكسبونه من حربهم لنا هو إيقاع الأذى بنا، فما هو هذا الأذى؟ وما مدى تأثيره علينا؟

هذا الأذى ظاهري سطحي خارجي، يصيب القشرة السطحية الظاهرة فينا، لكنه لا ينفذ إلى أعماقنا.

هذا الأذى يقع على الأجساد والأبدان، ويصيب الحواس والأطراف، وينتج

عنه آلام ومشقات، وتنزف منه دماء، هذا الأذى يصيب الأفراد والجماعات، لكنه يبقى خارجياً سطحياً.

والواقع المعاصر في معركتنا مع اليهود يشهد بهذه الحقيقة أيضاً، فإن اليهود أرادوا النفاذ إلى أعماقنا، واختراق «خطوط» هجومنا وجهادنا، وإزالة صمودنا وتحدينا وتصدينا، أرادوا إماتة أرواحنا، والسيطرة على نفوسنا، وقتل هممنا وامتصاص ثوابتنا، واجتثاث وجودنا، وتركنا نفوساً مشوهة، وكيانات بشرية معوقة، وأفراداً قانطين يائسين محبطين!

هل نجحوا في ذلك؟ الواقع في فلسطين يقول: لا. صحيح أنهم تمكنوا من النفاذ إلى أعماق وقلوب وأرواح بعض منا، فأصبحوا قانطين يائسين، وصاروا محطمين مستسلمين، لكنهم أفراد قلائل، إذا ما قيسوا بمجموع شعبنا المجاهد.

إن شعبنا المجاهد يزداد كل يوم صموداً أمام اليهود، وتحدياً لهم، وثباتاً على إسلامه وجهاده، ورفضاً للوجود اليهودي، تزداد نفوس شعبنا كل يوم قوة وحيوية وجهاداً، وكلما صعّد اليهود من بطشهم وتنكيلهم وقتلهم لإرادة هذا الشعب، كلما زاد هذا الشعب استعلاء وتصميماً وجهاداً.

نجاح اليهود في إيذائنا

لم ينجح اليهود إلا في إيقاع الأذى بنا، وهذا الأذى لا بد منه، ولا نجاة منه، فكل من دخل التحدي والمواجهة، فلا بد أن يصاب به، وقد أشار القرآن إلى أن الأذى والألم ضريبة الجهاد والمواجهة فقال تعالى: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم، إن تكونوا تألمون، فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون﴾ (سورة النساء: ١٠٤).

لقد آذى اليهود في فلسطين الشعب «المنتفض» المجاهد، لكنه أذى خارجي سطحي، أصاب الأبدان والأطراف، أذى تمثل في الشهداء الأبرار، والجرحى المجاهدين، والموقوفين والمسجونين، والمحكومين والممنوعين والمطرودين، أذى

تمثل في الدمـاء التي نزفت، والأطراف التي حُطمت، والأبدان التي شُـوهت، والبيوت التي هُدمت، لكنه يبقى أذى خارجياً سطحياً، لأنه لـم يمتد لينفـذ إلى القلوب والأرواح والنفوس والهمم والعزائم!!

وقـد تقرب المجـاهدون بذلك «الأذى» الذي أصـاب «ظواهرهـم» إلى الله، وجعلوه عبادة منهم لله، وطلبوا الأجر عليه من الله، وآمنوا بتحقيق وعد الله لهم، في قـوله تعـالى: ﴿مـا كـان لأهـل المدينة ومن حـولـهم من الأعـراب أن يتخلفوا عن رسول الله، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه: ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله، ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار، ولا ينالون من عدو نيلاً، إلا كتب لهم به عمل صالح، إن الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة، ولا يقطعون وادياً، إلا كتب لهم، ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ (سورة التوبة: ١٢٠-١٢١).

فشل اليـهـود في هزيمة وتحطيم نفسـية المجاهدين، من خلال الأذى الذي صبوه عليهم، ولم ينجحوا في القضاء على انتفاضة هؤلاء المجاهدين، ووفَّقَ الله هؤلاء في جـهـادهم، فـجـعلوا هذا الأذى الحـتـمي عـامـلاً من عـوامل الجهاد، يساعد عليه، ويزيده تقدماً واستمراراً. وهناك عشرات -بل مئات وآلاف- النمـاذج والشـواهد والأمـثلة، من حـيـاة شـعـبنا المجـاهـد في انتفاضته، يتجلى فيها استعلاؤه على الآلام والجراح والدماء والأذى. وصدق الله ﴿لن يضروكم إلا أذى﴾ فليزيدوا من أذاهم لنا، ولنوظفه جهادياً لانتفاضتنا!!!

اليهود لم يقاتلوا الربانيين

تتابع سورة آل عمران كشفها لحقيقة معركتنا مع اليهود، وتلميحها إلى المستقبل، «المظلم» لكيانهم على أرض فلسطين، فتقـول: « وإن يقـاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون».

وتقدم هذه الآية حقيقة قرآنية، إذا ما قاتلونا في معركة متكافئة، فإنهم سينهزمون ويولون الأدبار، لأن الله سينصرنا عليهم، وهم لا ينتصرون علينا.

لكن هذه الحقيقة قد تلتبس على بعض الناس في هذه الأيام، ويراها متخلفة غير محققة، فيتشكك في هذه الآية، ويراها غير منطبقة على الواقع، وقد يشتط بعض الناس فيكذبون مضمونها، لأنهم يرون الواقع يناقضها.

يقولون: لقد قاتلنا اليهود أكثر من ثلاثة حروب في هذا القرن العشرين، فمن هم الذين ولوا الأدبار وانهزموا؟ ومن هم الذين انتصروا؟ ألم ننهزم أمام اليهود في عام ٤٨ و ٥٦ و٦٧ وما بعدها؟ ألم ينتصروا علينا؟ فكيف نفهم هذه الآية؟

نقول لهم نعم لقد قاتلونا في هذه الحروب وهزمونا وانتصروا هم علينا، وأخذوا فلسطين وغيرها منا؟

لكن قاتلوا من؟ ما هي صفات من وقفوا أمام اليهود؟ ما هي شعاراتهم وراياتهم؟ ما هي «طروحاتهم» وتصوراتهم؟ ومن ثم نعرف من هم الذين قاتلوا اليهود وانهزموا أمامهم!

لم نحارب اليهود حرباً إسلامية حتى الان، ولم يواجه اليهود الجنود الربانيين المجاهدين حتى الآن، ومن ثم لم يدخل الإسلام المعركة حتى الآن، ولم يقل «كلمته» إلى الان.

إن قومنا أصروا على إقصاء الإسلام عن الواقع والمجتمع، ومن ثم إقصائه وإبعاده عن ميدان المواجهة. ولقد حارب قومنا «دعاة الاسلام وجنوده» لما دخلوا المعركة مع اليهود، وطعنوهم من الخلف، وغدروا بهم، واعتقلوهم بدمائهم وجراحهم.

حارب قومنا اليهود بقوميتهم واشتراكيتهم ويساريتهم ويمينيتهم، فانهزمت هذه الرايات والدعوات أمام اليهود.

لقد تغلب اليهود على القومية والقوميين، والاشتراكية والاشتراكيين، والثورية والثوريين، والرجعية والرجعيين، واليسارية واليساريين، واليمينية واليمينيين،

والرأسمالية والرأسماليين. قاتل قومنا اليهود بغير السلاح الرباني فانهزموا، وأخذ اليهود منهم فلسطين!

لا ينصرون أمام الربانيين

وهذه الآية التي قدمت هذا الوعد الرباني «وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون» لا تخاطب القوميين ولا تعِدُهم، إنما تخاطب المؤمنين بها، تخاطب الناس المسلمين الملتزمين المجاهدين الربانيين، وتَعِدُهم هذا الوعد النافذ.

وعندما «يُسلم» قومنا حقاً، ويلتزمون بدين الله حقاً، ويتخلون عن كل ما يناقضه حقاً، ويجاهدون في سبيل الله حقاً، ويواجهون اليهود بالاسلام والقوة حقاً، عندها سيرون مصداق هذا الوعد، ويقطفون هم ثمرته في عالم الواقع.

إذا قال الإسلام كلمته، وإذا دخل المجاهدون المعركة بثقلهم وأسلحتهم وقوتهم، وإذا خاضوا مع اليهود معركة «متكافئة»، تلاحظ العوامل الربانية والأسباب المادية -فإن اليهود سيولون الأدبار ثم لا ينصرون.

ونحن على يقين قاطع بأن الإسلام سيقول كلمته الجهادية بإذن الله، وأن المعركة الكبرى بين المجاهدين وبين اليهود قادمة بإذن الله، وأن نصر هؤلاء سيتحقق بإذن الله، وأن اليهود سيولون أمامهم الأدبار ثم لا ينصرون إن شاء الله.

ضرب الذلة والمسكنة عليهم

قال تعالى: ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا، إلا بحبل من الله وحبل من الناس، وباؤوا بغضب من الله، وضربت علهم المسكنة، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون الأنبياء بغير حق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾(سورة آل عمران: ١١٢).

الذلة ملازمة لليهود أينما حلوا، لا تفارقهم في أي زمان ومكان، «ضربت

عليهم الذلة أينما ثقفوا»، وكلمة «ضربت» تقدم لنا هذا المعنى، فالذلة مضروبة عليهم ضرباً، تلازمهم ملازمة تحيط بهم ولا تفارقهم، والذي ضربها عليهم وأوقعها بهم هو الله الحكيم، الذي هو فعال لما يريد، وكذلك المسكنة هي الهوان والضعف والجبن والإذلال، فهم في ذلة ومسكنة، أينما ثقفوا، وحيثما حلوا وأقاموا، هم في ذلة ومسكنة، سواء كانوا مضطهدين مستضعفين مطاردين، أو كانوا مسيطرين متمكنين حاكمين، وسواء عاشوا مشتتين في بقاع الأرض، أو كانوا في عز وسلطان وكيان على أرض فلسطين، ومعنى «ثقفوا» أُمسك بهم وقبض عليهم، لأن «الثَّقْف» هو التمكن من الأمر والإمساك به.

وتوحي لنا كلمة ثقفوا المبنية للمجهول، أن تاريخ اليهود كله يقوم على المطاردة والملاحقة، فهم دائماً مطاردون من قبل الأمم والشعوب، التي تحرص على أن «تثقفهم» وتدركهم وتمسك بهم، فإذا ما «ثقفوا» فهم في ذلة ومسكنة، وجبن وضعف وهوان، إنهم قد ينجون من الذلة فترة، وقد تُرفع عنهم مدة، ولكن ذلك موقوت محدد قصير، ثم يعودون إلى الذلة المضروبة عليهم، المحيطة بهم، والملازمة لهم.

«إلا بحبل من الله»

إن الآية تقدم لنا معنى عظيماً، بالنسبة لمستقبل اليهود في فلسطين، وهو مستقبل بائس حالك، بدون شك: «ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا- إلا بحبل من الله و حبل من الناس-» ولنتأمل دقة معنى الاستثناء هنا.

إن الإستثناء يتمثل في حبل الله وحبل الناس، وهما الحبلان الممتدان الى اليهود، لرفع الذلة والمسكنة المضروبة عليهم.

وهو استثناء من عموم الحكم في أول الآية، وعندما نطيل النظر في تركيب الآية نخرج بهذه الحقيقة: الذلة ملازمة لليهود، مضروبة عليهم، في أي زمان

ومكان، حيثما أقاموا، وأينما ثقفوا، هذا هو الأصل في تاريخهم وحياتهم، وهذه هي القاعدة لوجودهم.

لكن هناك استثناء خاص من هذه القاعدة المطردة، استثناء يتمثل في زمن ترفع به عنهم الذلة، هذا الزمن قصير قصير، ولهذا سماه الله حبلاً، وماذا يساوي الحبل وكم يساوي في تاريخ أمة؟ إنه لا يكاد يذكر لقصره، إذن الفترة التي يرفع الله عنهم فيها الذلة قصيرة، ولقصرها أُطلق عليها اسم الحبل.

«إلا بحبل من الله» وحبل الله الممتد لليهود، والذي يرفع عنهم الذلة في فترته القصيرة، ليس من باب حبه لهم ورضاه عنهم، فهم أعداء الله الكافرون، وقد أوقع الله بهم لعنته وغضبه -كما تقرر آيات أخرى من القرآن.

حبل الله هو إرادته الحكيمة

إن حبل الله الممتد لهم، هو إرادته النافذة، ومشيئته المطلقة، حيث شاء الله الحكيم، أن يرفع عنهم الذلة زمناً قصيراً، وأن يجعل لهم كياناً وسلطاناً على أرض فلسطين، يعيثون فيه فساداً، ويعلون فيه علواً كبيراً، وذلك لحكم كثيرة ربانية باهرة، تقدم عبراً ودروساً ودلالات لنا.

إن الله الذي شاء لليهود المجيء إلى فلسطين، وأراد أن يكون لهم دولة فيها، ومد لهم حبلاً قصيراً يتنفسون من خلاله، هو الله نفسه العلي الحكيم، الذي أوقع بهم الذلة والمسكنة، وأحل بهم لعنته ونقمته وسخطه.

فإذا عشنا في فترة حبل الله الممتد لهم، فلا بد أن نستشرف المستقبل، وننظر فيه بفراسة المؤمن، المستنيرة بأنوار آيات القران، لنرى أن الله سبحانه سيقطع هذا الحبل، ويُنهي هذه «اللحظة اليهودية» القصيرة، التي ينتعشون فيها وينتفشون، ونرى الذلة والمسكنة، تنتظرهم على بعد خطوات من سيرهم الحثيث إليها.

حبال الناس الممتدة لليهود

تشير الآية إلى حبلين ممدودين لليهود، ونراهما واضحين للعيان على أرض فلسطين المباركة. الأول حبل الله وإرادته ومشيئته، الذي تكلمنا عنه قبل قليل. والثاني حبل الناس، وهو حبل عجيب.

لقد اعتمد اليهود على حبال الناس في إنشاء دولتهم على أرض فلسطين، لأنهم لا يملكون القوة والقدرة الذاتية لايجاد ودعم وتقوية هذه الدولة، ولذا فحبال الآخرين ومساعداتهم هي السبب في حياة واستمرار كيانهم، وأبرز الحبال البشرية الممتدة لكيان اليهود هي:

الحبل الأوروبي...

وأقوى فرعيه هما: الفرع الإنجليزي والفرع الفرنسي، فقد كان لأوربا الفضل الكبير في تمكين اليهود على أرض فلسطين، منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث قضوا على الخلافة الإسلامية في تركيا، واحتلوا بلاد المسلمين والعرب احتلالاً مباشراً، وتقاسم الإنجليز والفرنسيون استعمار بلاد الشام، وقسّم «سايكس» و«بيكو» البلاد الى دول وأقطار مستعمرة، وجعلا فلسطين تحت الانتداب الإنجليزي، وتعهدت إنجلترا باقامة وطن يهودي على أرض فلسطين.

أصدر «بلفور» وعده لليهود، واشتد وامتد الحبل الإنجليزي المقدم لليهود، حتى أقام اليهود دولتهم عام ١٩٤٨م، وما زال الحبل الأوروبي ممتداً لهم بكل فروعه وألوانه، الفرع الانجليزي والفرنسي والألماني والبلجيكي وغير ذلك.

الحبل الأمريكي...

وقبل أن يضعف الحبل الأوروبي، صار اليهود يعملون على تأمين حبال أخرى، لأنهم يخشون الموت إن وهى وتقطع الحبل الأوروبي، ،يعلمون أن كيانهم لا يعيش إلا بتلك الحبال البشرية.

لقد قام اليهود بتأمين الحبل الأمريكي، الذي هو أقوى وأغنى الحبال الممتدة إليهم الآن، ومنذ وراثة أمريكا لبريطانيا في منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية، والحبل الأمريكي يقدم لليهود كل ما يطلبونه وزيادة. فالحبل الأمريكي الآن يقدم لليهود المال والسلاح والتأييد السياسي.

الحبل السوفييتي...

ولا ننسى الحبل الروسي بخاصة، والشيوعي بعامة، الممتد لليهود، لأننا نعلم أن الشيوعية صناعة يهودية، وأن يد اليهود في الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية الشيوعية -أو التي كانت شيوعية- واضحة منذ قيام النظام الشيوعي وحتى الان.

والحبل السوفييتي بقي ممتداً لليهود، لم ينقطع أو يتوقف- وإن بدا لنا أنه مقطوع في الخمسينيات و الستينيات و السبعينيات من هذا القرن، وهذا الحبل يتمثل في قدوم اليهود من روسيا ودول أوروبا الشرقية، الى دولة اليهود على أرض فلسطين، وقوي هذا الحبل واشتد في هذه السنوات، عندما تسارعت هجرة مئات الألوف من اليهود السوفييت إلى فلسطين[١].

الحبل العربي...

ولا بد أن نشير إلى حبل بشري آخر ممتد لليهود، له أثر مباشر في وجودهم على أرض فلسطين، قد لا ينتبه له الكثيرون، إنه الحبل العربي! نعم! حبل عربي ممتد من دول عربية تزعم أنها تعادي اليهود، وتدعي الحرص على تحرير فلسطين من اليهود!.

---

(١) كتب هذا الكلام في نيسان ١٩٩١م، قبل أن يزول الاتحاد السوفييتي وتتحطم الشيوعية، ولكن الحبل ما زال ممتداً لليهود من روسيا وأوروبا الشرقية.

وستتقطع الحبال كلها...

لقد عبَّر القرآن عن العون لليهود بكلمة «حبل» فقال: «وحبل من الناس» وهي كلمة دقيقة ذات دلالة هامة.

لا يملك اليهود قوة ذاتية، ولا يتمتعون في الحقيقة بقدرات ذاتية، ولذلك لا يقوم كيانهم في فلسطين على أسس وقواعد ذاتية ثابتة، إنما يقوم على الحبال الممتدة إليه.

إن كيانهم على أرض فلسطين مصطنع مختلق، وليس أصيلاً فطرياً منطقياً موضوعياً، إن وجوده مرهون باستمرار وامتداد الحبال إليه، وإن حياته مرهونة باستمرار المساعدات عبر هذه الحبال الممتدة، وإذا ما انقطعت هذه الحبال، فإن هذا الكيان سيفقد أسباب الحياة، وسينهار كما ينهار أي بنيان أقيم على الباطل.

إن الحبل العربي -بمظاهره التي أشرنا لها-، سيتقطع عما قريب إن شاء الله، يوم تهتدي هذه الأمة إلى رسالتها وتتمسك بإسلامها، وتعتصم بربها، وتجاهد أعداءها، وعندها يمن الله عليها بالنصر، وعندها تزول هذه «الفقاعة» الفارغة، المسماة دولة «إسرائيل الكبرى».

إن تقطيع الحبال الممتدة إلى اليهود يحتاج إلى سعي وعمل، وجهد وجهاد، وإنها لا تتقطع بمجرد الأمنيات، وفي عالم الرؤى والأحلام، فعلينا السعي الجاد نحو الاعتصام بحبل الله المتين، ونحو تقطيع الحبال البشرية الممتدة للكيان اليهودي، ويومئذٍ يتحقق ما وعدت به هذه الآية، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله... وإنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً... وما الانتفاضة المباركة على أرض فلسطين إلا خطوة جريئة للسير على طريق تقطيع الحبال الممتدة لليهود!.



الفصل الحادي عشر

مستقبل اليهود في فلسطين كما تحدده سورة الأعراف

وقفنا أمام آيات سورة آل عمران، التي تتحدث عن الحبال الممتدة للكيان اليهودي على أرض فلسطين، وتقرر أن هذا الكيان المصطنع لا مستقبل له، وأن وجوده مرهون بإيصال الدعم له عن طريق تلك الحبال، وأنه سيموت ويزول يوم تتقطع تلك الحبال بعون الله.

والآن، نقف مع آيات من سورة الأعراف تؤكد هذه الحقيقة: إن اليهود لا مستقبل لهم على أرض فلسطين، وإن كيانهم عليها موقوت، وإنه إلى زوال.

سينالهم غضب وذلة

قال تعالى: ﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا، وكذلك نجزي المفترين﴾ (سورة الأعراف: ١٥٢).

جاءت هذه الآية بعد ذكر قصة عبادة بني إسرائيل للعجل، بعد ذهاب موسى عليه السلام لمناجاة ربه على جبل الطور، ولم يستمعوا لهارون عليه السلام وهو ينهاهم عن هذا الكفر الفاجر.

وتقرر هذه الآية أن اليهود الذين عبدوا العجل من دون الله، ستنالهم الذلة في الحياة الدنيا، وهذا بسبب افترائهم وكذبهم على الله سبحانه.

صحيح أن الآية التي تقرر إيقاع الغضب والذلة على اليهود، تتكلم عن أولئك اليهود الذين عبدوا العجل زمن موسى عليه الصلاة والسلام، لكنها تتكلم عن اليهود عموماً، وتنطبق عليهم أينما كانوا، لأن اليهود مستمرون في عبادة «العجل الذهب»، وليس شرطاً أن يقدموا له الشعائر التعبدية، كما فعل أسلافهم السابقون، فهذه صورة ساذجة للعبادة، إن اليهود يعبدون الذهب

والمال من دون الله، ولهم «نهم» عجيب في هذا المجال، ويعرف الناس مقدار تمكن هذا الكفر في نفسية اليهود، ونلحظ ممارسات «عبادية» يهودية شائنة للمال والذهب، بارزة لكل ناظر في هذا الزمان.

ثم إن هذه الآية التي تقرر إيقاع الذلة والغضب على اليهود، تأتي متناسقة مع آيات أخرى، تبين هذه الحقيقة وتكملها وتؤكد مضمونها، مثل قوله تعالى ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا﴾ (سورة آل عمران: ١١٢) وقوله تعالى: ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله﴾ (سورة البقرة: ٦١).

هل يوفق المغضوب عليه؟

إن قوله تعالى: ﴿سينالهم غضب من ربهم﴾ يقرر أن اليهود خاسرون فاشلون، يسيرون إلى نهايتهم البائسة التي تنتظرهم، وهي تصيب كل من غضب الله عليه.

وتؤكد هذه الآية مضامين آيات أخرى، تبين عقوبة الله لليهود على جرائمهم الكثيرة، بإيقاع غضبه عليهم.

قال تعالى: ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير الحق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ (سورة البقرة: ٦١).

وقال تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم -وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا- فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين، بئسما اشتروا به أنفسهم، أن يكفروا بما أنزل الله بغياً، أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فباءوا بغضب على غضب، وللكافرين عذاب مهين﴾ (سورة البقرة: ٨٩ - ٩٠)

وبما أن اليهود مغضوب عليهم من قبل الله سبحانه، فهم خاسرون، لأنه لن ينجح مغضوب عليه، ولن يوفق مغضوب عليه، ولن يسعد مغضوب عليه.

ولقد قدّم الله لليهود هذه الحقيقة، وحذرهم عاقبة غضبه عليهم، ونهاهم عن ارتكاب ما يستوجب ذلك الغضب، وجاء هذا البيان والتحذير، لما كانوا في «المحطة» الأولى من «محطات» تاريخهم الطويل، لما كانوا في سيناء مع رسولهم موسى عليه السلام، وقبل أن ينتقلوا معه من سيناء إلى الأرض المقدسة، فلسطين.

قال تعالى: ﴿يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم، وواعدناكم جانب الطور الأيمن ،ونزلنا عليكم المن والسلوى، كلوا من طيبات ما رزقناكم، ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي، ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ (سورة طه: ٨٠ -٨١).

اليهود مغضوب عليهم، ولن يوفق المغضوب عليهم، وكيانهم في فلسطين قائم على أساس غضب الله، ولهذا هو إلى زوال. المهم أن «نستشرف» نحن مستقبل هذا الكيان، على هدي آيات القرآن، وأن نلحظ «الغضب» الإلهي الذي يلف هذا الكيان، ويغشاه ويغطيه، ويحشره داخله حشراً، ويعصره عصراً، ليذوي ويموت في النهاية، التي نرجو أن تكون قريبة بعون الله.

باءوا بغضب على غضب

ونقف مع الآية التسعين من سورة البقرة «فباءوا بغضب على غضب» لنرى منها نوراً قرآنياً، نسلطه على الكيان اليهودي على أرض فلسطين.

إنها تقررالسمة الرئيسة لتاريخ اليهود، تلك هي سمة الغضب، وإنها تقرر الحالة الدائمة التي يعيش في ظلالها اليهود، تلك هي حالة الغضب، وإنها تقرر «الرحلة» التي يقطعها اليهود، تلك هي رحلة الغضب، وإنها تقرر «الحصيلة» والثمرة والنتيجة، التي يخرج بها اليهود من حياتهم وتاريخهم ورحلتهم،إنها الغضب.

صدق الله العظيم: ﴿فباءوا بغضب على غضب﴾ باءوا: عادوا ورجعوا،

أي قطعوا مراحل تاريخهم، وأشواط حياتهم، ورجعوا يحملون كسبهم وجناهم، وهو الغضب ،وأضافوه إلى رصيدهم السابق، و«إرثهم» التاريخي، وهوالغضب، وبذلك «باءوا بغضب على غضب».

عصى اليهود السابقون أنبياءهم أثناء إقامتهم في فلسطين في العصورالقديمة، ونالوا بذلك غضب الله، وشتتهم الله وقطعهم، ومزقهم في الأرض، وهو غاضب عليهم، وأقاموا بين الدول والأمم بغضب الله، وتنادى اليهود إلى فلسطين وتجمعوا فيها، فعادوا إليها، وهم يحملون معهم غضب الله، وأقاموا كيانهم على أرض فلسطين ،على أساس غضب الله، فكان هذا الكيان بجهد قوم مغضوب عليهم من الله، وكان هذا الكيان نتيجة «وثمرة» لغضب الله، فجاءت أبرز سمة لهذا الكيان أنه كله غضب من الله.

بداية اليهوذ غضب، وحياتهم غضب، وتاريخهم غضب، ورحلتهم غضب، وشتاتهم غضب، وعودتهم غضب، وجهدهم غضب!! رصيدهم غضب، وإرثهم غضب، وسعيهم غضب، وربحهم غضب، وهم «باءوا بغضب على غضب»! ولن يوفق المغضوب عليه، ولن يحقق أهدافه، ولن تطول حياته، ولن يعمر كيانُه!

وأكاد أرى ببصيرة قرآنية نافذة غضب الله يصب على رؤوس اليهود الآن صباً، وأكاد أرى مظاهر عملية صارخة لهذا الغضب الإلهي، وأكاد أرى براكين الغضب البشري يفجرها الله ضد اليهود.

اليهود يزرعون الغضب

اليهود ماهرون في إذلال الشعوب، أذكياء في التحكم فيها، وفي امتصاص خيراتها ونهب أموالها، وناجحون في ذلك نجاحاً منقطع النظير، لكن نهايتهم وحتفهم وموتهم في ذلك، إنهم بذلك النجاح -الذي قد يخدعهم ويخدرهم ويغرهم- يزرعون «الغضب» عند تلك الشعوب، وتنمو أشجار ذلك الغضب

عندها، وقد لا يلتفت ولا ينتبه اليهود إليها، في غمرة نجاحهم، ولكن تلك الأشجار تنمو وتنمو، وسوف تثمر وتثمر، وتقدم ثمراً مدمراً يقضي على اليهود!!

لقد أساء اليهود للشعوب كلها، أساءوا للعرب وللمسلمين، وأساءوا للأوروبيين والأمريكان، وأساءوا للأفارقة والآسيويين، وسكتت تلك الشعوب وسكنت، وخُدع اليهود بسكوت الشعوب وسكونها، وظنوه سكوتَ وسكون الاستسلام والانقياد، فزادوا في استذلال تلك الشعوب واستعبادها، ونهبها وامتصاصها.

إن الشعوب قد تسكن، لكنه السكون الخطير، الذي يسبق العاصفة، وإنها قد تهدأ، لكنه الهدوء المريب الذي يخفي تحته البراكين، وإنها قد تسكت، لكنه السكوت الذي تعقبه الصواعق.

الشعوب لا تنسى شيئاً، ومغرور مغفل من ظن أنها تنسى، إنها لا تسكت على هوان، ولا تبتلع الإساءة، ولو لم ترد على ذلك مباشراً وسريعاً.

إن الشعوب تمتلك «ذاكرة» واعية حافظة، وإنها تختزل فيها إساءات اليهود لها، و«ترصد» فيها امتصاص ونهب اليهود لخيراتها، وتجعل هذا الاختزال والرصيد «وقوداً» لبراكين الغضب الهادرة، تحت قشرتها السطحية الهادئة!

وعندما يجيء أمر الله، ويأذن بتفجر هذه البراكين، ستدمر اليهودَ وتقضي عليهم، ولن ينجح ذكاء اليهود في النجاة من تلك «الحمم» البركانية، التي تقذفها الشعوب الغاضبة المزمجرة، ضد الكيان اليهودي على أرض فلسطين.

الغضب الساطع آتٍ

ساذج وموهوم وحالم، من يظن أن اليهود تمكنوا من الشعوب والأمم إلى الأبد، وساذج وموهوم وحالم، من يظن أن الشعوب ستبقى أسيرة الإستغلال والإستعباد اليهودي المقيت.

ستصحو هذه الشعوب التي خدرها الآن اليهود، وستفتح أعينها التي يغلقها لها الآن اليهود، ويومها ستدرك عِظم خسارتها عندما أيدت اليهود، واستجابت لإسرائيليات اليهود، ودعمت كيان اليهود، ويومها ستفجر براكين الغضب ضد اليهود، وستنتقم من اليهود.

وويل لليهود من انتقام الشعوب، وويل لليهود من تفجير براكين الغضب لدى الشعوب.

ويل لليهود من غضب الشعب الفرنسي، وغضب الشعب الإنجليزي، وغضب الشعب الروسي، ويل لليهود من غضب الشعب الأمريكي، وهو غضب قادم لا محالة.

ويل لليهود من غضب الشعب العربي، ومن غضب الشعوب المسلمة، ويل لليهود من الأجيال العربية القادمة، التي تواجه اليهود مزودة بالإيمان والإسلام والقرآن والجهاد، حيث ستُزيل كيانهم، وتحطمه تحطيماً بعون الله.

ومن يعيش ذلك الغضب العالمي ضد اليهود، ومن يسعد بحمم براكين ذلك الغضب تجتاح كيان اليهود، سيعرف معنى قوله تعالى: ﴿فباءوا بغضب على غضب﴾، وسيعرف أنه لن يوفق المغضوب عليه، وأن ذكاء اليهود انقلب سلاحاً ضدهم، وصار دماراً لهم، ووقوداً للغضب عليهم.

سنة الله في تعذيب اليهود

قال الله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم، وقطعناهم في الأرض أمما ،منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف: ١٦٧-١٦٨).

وسوف نعرض -بعون الله- بعض إيحاءات هاتين الآيتين، ونسجل بعض ما تقررانه من مستقبل مظلم لليهود.

تخبرنا هاتان الآيتان عن سنة إلهية في تعذيب اليهود، وهذه السنة الإلهية في تعذيب اليهود واقعة محققة لا محالة، ولن يفلت اليهود منها، ولن ينجيهم ذكاؤهم منها، وهذه السنة مستمرة «إلى يوم القيامة» أي إن هذه السنة ستحل بكيان اليهود المعاصر على أرض فلسطين.

لقد شاء الله الحكيم أن يعذب اليهود،عذاباً دائماً مستمراً، وأعلمنا أنه سيبعث عليهم رجالاً يعذبونهم سوء العذاب، كما أعلمنا أن هذا البعث الإلهي عليهم مستمر إلى يوم القيامة.

كما تخبرنا الآية أن الله الحكيم شاء وقدّر أن يقطّع اليهود وأن يقسّمهم، وأن يحولهم من أمة واحدة إلى أمم شتى، وأن يفرّق هذه الأمم في الأرض، وأن يشتتها في البلدان، وهذه السنة الربانية العادلة عقوبة من الله عليهم جزاء ما ارتكبوه ويرتكبونه، من الآثام والمعاصي، والإجرام والإفساد، مما لا يخفى على أحد.

«وإذ تأذن ربك».

معنى «تأذن» أعلم وأخبر، وهذا الفعل فيه معنى «القسم» هنا، لهذا دخلت «اللام» على فعل ليبعثن، باعتباره جواباً للقسم المفهوم من فعل تأذن.

فقوله «وإذ تأذن ربك» أي: أعلمكم وأخبركم ربكم أيها المسلمون، بهذه السنة الإلهية النافذة، الواقعة باليهود لا محالة، وجاء إعلام الله وإخباره لكم بما يشبه الحلف والقسم واليمين، أنه سيبعث على اليهود من يسومهم سوء العذاب، إلى يوم القيامة.

والتلويح بالقسم هنا، موجه بالدرجة الأولى لمسلمي هذا الزمان، الذين يعيشون فترة انتعاش مؤقت لليهود، على أرض فلسطين، وسلطان كبير -مؤقت- لليهود في العالم كله، فيظنون أن سنة الله في «تعذيب» اليهود قد توقفت ويشكّون في مصداق هذه الآية، فحملت هذه الجملة «وإذ تأذن ربك

ليبعثن عليهم» معنى القسم، ولوحت بالقسم حتى لا تتأثر قناعة المسلم الرباني المعاصر، بتحقيق هذه السنة الإلهية النافذة!

والذي يلفت النظر هنا، أن الفعل الماضي «تأذن» لم يذكر في القرآن إلا مرتين، والمرتان وردتا في سياق واحد، وهو الكلام عن اليهود، وتحملان تهديداً وإنذاراً لليهود، وتقدمان سنة ربانية متحققة باليهود!

ففي سورة الأعراف أخبرنا الله وأعلمنا، أنه سيعذب اليهود «وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب».

وفي سورة إبراهيم، أمر الله موسى عليه السلام أن يخاطب بني إسرائيل بهذه السنة الربانية، وأن يقدِّم لهم الإنذار الرباني الشديد: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾(سورة ابراهيم: ٧) وطبعاً كفر اليهود ولم يشكروا، فأوقع الله بهم عذابه الشديد إلى يوم القيامة!

«ليبعثن عليهم»

العذاب الواقع باليهود مبعوث عليهم بعثاً من الله، واختيار فعل «بعث» وإسناده إلى الله يقدم لنا «ظلاً» خاصاً، نلحظ فيه أن الذين يعذِّبون اليهود، هم عباد ربانيون مكرمون عند الله، اختارهم الله اختياراً، واصطفاهم اصطفاء، وبعثهم بعثاً، ليوقعوا العذاب باليهود، ويُريحوا العالم من شر اليهود.

لقد فرَّق القرآن بين ما تعلق به الفعل «بعث» ومشتقاته، وذلك حسب السياق الذي ورد فيه.

أحياناً يقول: ﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ (سورة المائدة: ١٢) وأحياناً يقول: ﴿إن الله بعث لكم طالوت ملكاً﴾ (سورة البقرة: ٢٤٧) وأحياناً يقول: ﴿إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ (سورة آل عمران: ١٦٤) وهنا يقول: ﴿ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة﴾.

وفرق بعيد بين التعابير القرآنية الأربعة: بعث منهم، وبعث عليهم، وبعث لهم، وبعث فيهم. ولا أعتقد أن هذا مكان تسجيل هذه اللطائف القرآنية الدقيقة. لكن أدعو القراء الكرام إلى ملاحظة الفاعل للفعل «بعث» في حالاته الأربعة، الفاعل الذي يبعث هو «الله»، الواحد الباعث الفعال المريد سبحانه!

تعلقُ الفعل «بعث» بشبه الجملة «عليكم» خاص بالعذاب، أي أن العذابَ يُبعث بعثاً، بأمر الله، على القوم المعذبين. والذين يحملون هذا العذاب الإلهي ليصبوه على اليهود، هم قوم مكرّمون عند الله، ناسب أن يخبر الله عنهم بالفعل الجميل «بعث» الذي يدل على هذا التكريم.

تعذيب اليهود على يد غير المسلمين

نعلم أن الله قد عذب اليهود في مراحل مديدة طويلة من تاريخهم، وأنه قد أوقع العذاب عليهم بأيدي أقوام كثيرين، منهم المسلمون، ومنهم غيرالمسلمين.

ونلحظ أن فعل «بعث ويبعث» خاص ببعث الله للمسلمين، ليعذبوا اليهود، وأن هذا الفعل لا ينطبق على الأقوام غيرالمسلمين الذين يعذبونهم -والله أعلم-.

فمعلوم أن «فرعون» وقومه قد عذبوا اليهود، ولم يسم القرآن تعذيب فرعون وجنوده لهم «بعثاً ربانياً» لأن فرعون وقومه كانوا مجرمين ظالمين جناة، وبنو إسرائيل -يومها- كانوا مضطهدين مظلومين! وعذب أقوام آخرون اليهود قبل الإسلام، مثل «البابليين» و«الرومان» و«النصارى»، وليس عذابهم «بعثاً» ربانيا! وقد عذب الله اليهود في هذا العصر على أيدي «هتلر» والنازيين، وليس هذا «بعثا» ربانياً! لأن هؤلاء الكافرين الذين عذبوا اليهود، لا يستحقون أن ينسبوا إلى الله نسبة تكريم وتشريف و«بعث»، مع أنهم سبب ظاهري مادي، اختاره الله ليوقع نقمته وعذابه باليهود.

المسلمون «بعث» رباني على اليهود

لما أخبر القرآن عن تعذيب المسلمين لليهود، اختار لهم «فعلا» تكريمياً وعبارة «تشريفية» خاصة بهم. وذلك في موضعين:

الأول قوله: ﴿ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾

وهذا بعث مستقبلي لم يتحقق قبل نزول سورة الأعراف المكية، وإنما تحقق بعد نزولها، وتم على أيدي المؤمنين أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد عَرفْنا هذا المعنى المستقبلي من الفعل المضارع «ليبعثن».

والثاني قوله: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما، بعثنا عليكم، عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً﴾ (سورة الإسراء: ٥)

وهذا «بعث» مستقبلي أيضاً، لم يتحقق قبل نزول سورة الإسراء المكية، ولكنه تحقق فيما بعد في المدينة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام. وقد عرفنا هذا المعنى المستقبلي من ظرف «إذا» الذي هو: ظرف لما يستقبل من الزمان.

إذن العبارتان: «بعثنا عليكم عباداً لنا»، «وليبعثن عليهم من يسومهم سوء العذاب»، خاصتان بالبعث الإسلامي، الذي يبعثه الله على أيدي العباد المؤمنين الربانيين، الذين يعذبون اليهود.

هذا البعث مستمر إلى يوم القيامة

المسلمون الربانيون هم المرشحون «الوحيدون» للقضاء على اليهود وتعذيبهم، وإراحة شعوب العالم منهم، وهم الذين يبعثهم الله على اليهود، ويسلطهم عليهم، ويمكنهم منهم، وينصرهم عليهم.

وأعتقد -من خلال نفحات وأنوار هذه الآية -أن تمكين الله لليهود على أرض فلسطين في هذا الزمان، إنما هو تمهيد وتهيئة للبعث الإسلامي القادم، الذي يحمل جنوده الربانيون العذاب الإلهي، ويصبونه على اليهود. وأرى كل الأحداث والأمور يسيرها الله، لتحقيق هذه الغاية الربانية الحكيمة.

المسلمون الربانيون هم الذين سيعذبون اليهود، ولهذا فإن الله يجمع لهم اليهود من بقاع الأرض إلى فلسطين، ليسهل عليهم تعذيبهم والقضاء عليهم!

يجب أن ننظر لكيان اليهود على أرض فلسطين بهذا المنظار القرآني، وأن نستشرف مستقبله المظلم على هذا الأساس القرآني، وأن نوقن بزواله وفق هذه السنة الربانية.

المسلمون هم الوحيدون الذين اختارهم الله الحكيم ليستمروا في «سوم» اليهود سوء العذاب إلى يوم القيامة، «ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب». ونلاحظ جملة «إلى يوم القيامة» التي تقرر استمرار إيقاع العذاب على اليهود إلى يوم القيامة، وأنه واقع بهم على أيدي المؤمنين الذين يبعثهم الله بعثا.

إن الحرب في الحقيقة هي بين اليهود -أخبث شعب -وبين المسلمين- لأن المسلمين هم أعداء اليهود الذين يعرفونهم على حقيقتهم، ويكشفون زيفهم، وهم الوحيدون الذين يملكون القوة للقضاء على اليهود لأن الله معهم! وهذا ما قرره علماء الصحابة والتابعين، أثناء تفسيرهم للآية التي نتكلم عنها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الذين يسومون اليهود سوء العذاب هم محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، إلى يوم القيامة.

وقال قتادة: بعث الله على اليهود هذا الحي من العرب (وهم المسلمون) فهم في عذاب منهم الى يوم القيامة (انظر تفسير الطبري لهذه الآية ١٣: ١٠٤-٢٠٧). وقد عقب ابن كثير على هذه الأقوال قائلاً: قلت: ثم آخر أمر اليهود أنهم يخرجون أنصاراً للدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم، وذلك آخر الزمان (٣: ٢٥٩).

الحقيقة على لسان سيد قطب

الخلاصة التي نخرج بها من هذه الآية أن اليهود معذَّبون، وأن الله شاء أن

يوقع بهم العذاب الى يوم القيامة، وأن المسلمين هم الوحيدون المرشحون لتحقيق سنة الله على اليهود، وإيقاع العذاب بهم.

إذن لا مستقبل لكيان اليهود على أرض فلسطين، فهو موقوت، وإلى زوال واندحار. ونحن في هذه الأيام نرى العذاب الرباني المباشر على هذا الكيان قادماً إليه فما هي إلا فترة موقوتة، واستراحة قصيرة، قد تستمر سنة أو سنتين، أو عشراً أو عشرين، أو جيلاً أو جيلين، ثم تحيق به سنة الله، ويسلط الله عليه عباده المؤمنين، ويُزيلونه من على هذه الأرض المباركة، وهو قريب إن شاء الله.

ويطيب لي أن أقررَ هذه الحقيقة، على لسان الأستاذ الإمام سيد قطب رحمه الله، وأنقلَ بعض عباراته من تفسيره لهذه الآية:

«فهو إذْنُ الأبد، الذي تحقق منذ صدوره، فبعث الله على اليهود في فترات من الزمان من يسومهم سوءَ العذاب، والذي سيظل نافذاً في عمومه، فيبعث الله عليهم بين آونة وأخرى من يسومهم سوء العذاب.

وكلما انتعشوا وانتفشوا، وطغوا في الأرض وبغوا، جاءتهم الضربة ممن يسلطهم الله من عباده، على هذه الفئة الباغية النكدة، الناكثة العاصية، ولا تثوب من انحراف، حتى تجنح الى إنحراف.

ولقد يبدو أحياناً أن اللعنة قد توقفت، وأن يهود قد عزّت واستطالت! وإن هي إلا فترةٌ عارضة من فترات التاريخ، ولا يدري إلا الله من ذا الذي سيسلط عليهم في الجولة القادمة، وما بعدها إلى يوم القيامة» (الظلال: ٣:١٣٨٦).

الفصل الثاني عشر

مستقبل اليهود في فلسطين

كما تقرره سورة الإسراء

صراع بين رسالتين

أشارت سورة الإسراء إلى حادثة الإسراء، وربطت المسجدين، المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وتكلمت عن بني إسرائيل، وأشارت إلى أبرز مظاهر وملامح حكمهم، وكشفت عن فسادهم وبغيهم، وأخبرتنا عن إفسادين كبيرين، مقترنين بالعلو الكبير، يقعان على أيدي اليهود، وأطلعتنا على وضع اليهود في كل منهما، وحددت ملامح الرجال العباد الربانيين، الذين يزيلون الإفسادين اليهوديين، وكان تركيزها على الإفساد الثاني اليهودي أكبر.

ونرى أن سورة الإسراء بكلامها عن إفسادي اليهود -وبخاصة الإفساد الثاني- إنما تحدد مستقبل الكيان اليهودي على أرض فلسطين، وتقرر أنه كيان مقترن بالإفساد والعلو، وأنه لا مستقبل له، وأنه إلى زوال ودمار، وأن العباد الربانيين قادمون إليه، ليحققوا فيه وعد الله، ويكونوا بتدميره ستاراً لقدر الله.

سورة الإسراء وبنو إسرائيل

لسورة الإسراء اسم توقيفي آخر، وهو سورة بني إسرائيل، لذكر بني إسرائيل فيها، بعد حادثة الإسراء مباشرة، وهي سورة مكية، وللحديث عن بني إسرائيل وإفسادهم في سورة مكية، إشارة واضحة لطبيعة وحقيقة الصراع بين المسلمين واليهود.

بدأت السورة بالحديث عن الإسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم من

المسجد الحرام في مكة المكرمة، إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس، ثم اشارت إلى البركة التي جعلها في المسجد الأقصى،وفيما حول المسجد الأقصى،ثم انتقلت مباشرة انتقالاً تاريخياً من الرسالة الإسلامية إلى رسالة موسى نبي بني إسرائيل عليه الصلاة والسلام، وإلى التوراة وما كلف الله بني إسرائيل فيها.

ثم أخبرت السورة المسلمين بعض ما أعلم الله بني إسرائيل في التوراة نفسها، من أحداث تاريخية قادمة لهم، ومن إفساد خطير يمارسونه، ومن علو كبير يقومون به، وحددت إفسادين اثنين لهم، وأعلمتهم بسمات ومواصفات الربانيين الذين يقضون عليهم.

المسجد الأقصى والبركة حوله

قوله تعالى﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا، إنه هو السميع البصير﴾

نقف لحظة مع قوله :﴿إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ فقد سماه الله المسجد الأقصى، ولم يكن المسجد مقاماً على الأرض وقت الإسراء، ولم يكن هناك مسلمون على أرض الأقصى وقت الإسراء!

لقد سمي المسجد الأقصى ليلة الإسراء لاعتبارين اثنين:

الإعتبار الأول: أن مكانه كان مسجداً فيما سبق،لعبادة الله عز وجل، وأن الله جعل ذلك المكان بقعة شريفة،ومسجداً لعبادته، وأنه بني ليكون مسجداً من قبل، ونحن نعرف أن أول من بناه ليكون مسجداً لله إبراهيم الخليل عليه السلام، وأن بناءه جدد ليكون مسجداً لله على أيدي أنبياء وملوك بني إسرائيل،وأن سليمان عليه الصلاة والسلام بنى على أرضه هيكله المعروف، ليكون مسجداً لله، ليصلي فيه سليمان ومؤمنو بني إسرائيل لله -وفق شريعتهم الربانية في الصلاة- ولم يبنه ليكون هيكلاً يهودياً تلمودياً عنصرياً بغيضاً،كما يدَّعي اليهود في هذا الزمان.

الإعتبار الثاني: باعتبار ما سيكون في المستقبل، حيث تقدم الآية البشرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمستضعفين من المسلمين في مكة، أن أرض المسجد الأقصى وإن كانت خراباً وأنقاضاً ليلة الإسراء، يعيث فيها جنود الرومان والنصارى الفساد، فإنها ستتطهر من رجسهم وكفرهم، على أيدي المسلمين، وستتحرر منهم، وسيشيد عليها المسلمون المنصورون مسجداً لعبادة الله عز وجل.

مظاهر البركة حول المسجد الأقصى

وصف الله الأرض حول الأقصى بالبركة ﴿الذي باركنا حوله﴾ ولم يصف المسجد نفسه بالبركة، فلم يقل الذي باركناه وباركنا حوله، لأن بركة المسجد باعتباره مكاناً للعبادة والصلاة والسجود أمر مفروغ منه، متفق عليه، مفهوم ضمناً، فلا يحتاج إلى نص عليه.

وكلمة «حوله» تشمل كل الأرض الواقعة حول المسجد الأقصى وهي المعروفة باسم بلاد الشام، بأقطارها السياسية، التي قسمها وأوجدها الاستعمار الإنجليزي الفرنسي في مطلع هذا القرن، على يدي سايكس وبيكو، وهي سوريا ولبنان والأردن وفلسطين.

وقد يخطيء بعض الناس في فهم البركة فيما حول المسجد الأقصى، فيقصرها على البركة الزراعية، أي البركة في الطقس والمناخ، في الرياح والأمطار، وفي الأرض الصالحة للزراعة التي تنتج مختلف الزروع والثمار، والتي تدر لبناً وعسلاً، وتقدم لأصحابها موارد زراعية وغذائية رفيعة.

صحيح أن هذه البركة موجودة فيما حول المسجد الأقصى بهذا الاعتبار، لكنها بركة من بركات كثيرة، ومظهر من مظاهر البركة العديدة، البلاد التي حول المسجد الأقصى مباركة بركة زراعية إنتاجية غذائية اقتصادية.

وهي مباركة بركة إيمانية، لأنها بلاد إيمان، للإيمان فيها وجود راسخ ثابت

أصيل، قبل إبراهيم عليه السلام وبعده، وهي بلاد نبوات ورسالات، كرسالة موسى وعيسى، ونبوة داود وسليمان عليهم الصلاة والسلام، وقد شهدت أرضها عبادة العابدين وصلوات المسبّحين، فكم من صلوات أقيمت عليها، وكم من دعوات خرجت منها، وكم من زفرات وأنّات زفرت عليها، وكم من دموع وتضرعات كانت عليها، لقد مزج ترابها بدموع العابدين المتضرعين لله، قبل حكم المسلمين لها وبعده.

وهي مباركة بركة تاريخية، قديمة ومعاصرة ومستقبلية، فتاريخها الأصيل هو تاريخ للإسلام والإيمان والعبودية لله، أما الكفر والشرك والطغيان والجاهلية، فلا تاريخ ثابت لها عليها، ووجودها زائف موقوت زائل، هي تاريخ الإسلام والايمان، الذي صاغه عليها: إبراهيم وإسحاق وموسى وهارون ويعقوب ويوسف وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وهي تاريخ الإسلام الذي صاغه عليها المسلمون الصالحون، من الصحابة والتابعين والعلماء والمجاهدين.

وهي مباركة بركة جهادية حضارية حركية، فعليها كان يسجل التاريخ الإيماني منعطفاته الخطيرة، وأحداثه العظيمة، وعليها كان يسجل التاريخ الجاهلي هزائمه ونكساته وزواله واندحاره.

التاريخ عليها حي فاعل متحرك لا يتوقف، وتقدم أعوامه وشهوره وأيامه مفاجآت عجيبة، وأحداثاً خطيرة، ومعارك فاصلة، وزوال دول وأنظمة، وولادة أخرى.

عليها قُصِم الرومان، وقصم الفرس، وقصم الصليبيون، وقصم التتار، وعليها سيقصم الله اليهود، ويدمر كيانهم، وعليها سيقتل الله المسيح الدجال، وعليها سيبيد الله جحافل يأجوج ومأجوج.

وهي مباركة بركة سياسية، فهي أرض الإبتلاء والإمتحان، وهي أرض

الكشف والفضح، هي التي تكشف الخونة، وتفضح العملاء، من الحكام والزعماء، والقادة والأنظمة، والأحزاب والتنظيمات، والرايات والشعارات والدعوات.

فبورِكْتِ أيتها الأرض المباركة، كم كشفتِ من سوءات الحكام والسياسيين، وكم فضحت من الخونة والعملاء والمجرمين، وكم أسقطت من شعارات زائفة، وألغيت من دعوات ومبادرات ذليلة، وعرَّيتِ من ممثلين مخفيين مرتبطين بالأعداء في الداخل والخارج.

إن هذه الأرض المباركة حول المسجد الأقصى «مقبرة سياسية»، لكل زعيم وحاكم ونظام وحزب وتنظيم ودعوة وشعار وراية وفكر، لا يصدر عن هذا الدين، ويرضى أن «يتاجر» في قضية هذه الأرض المباركة.

أتلاحظون كم «سنقزم» البركة في هذه الأرض، عندما نقصرها على البركة الزراعية والغذائية والإنتاجية، وكم «سنفرغها» بذلك من هذه المظاهر المهمة لهذه البركة!!

لماذا الإسراء إليها والمعراج منها؟!

لقد اختار الله الحكيم المسجد الأقصى، ليكون نهاية لرحلة الإسراء، وبداية لرحلة المعراج، وذلك ليربط بين الأرض المباركة وبين خاتم الأنبياء والمرسلين، باعتباره هو وارث الأنبياء السابقين لهذه الأرض -ومنهم أنبياء بني إسرائيل- وباعتبار دينه الإسلام هو وارث الأديان السابقة على هذه الأرض المباركة، -ومنها اليهودية والنصرانية- وباعتبار أمة الرسول صلى الله عليه وسلم هي الوارثة لهذه الأرض، من الأمم السابقة التي أقامت عليها، -ومنها أمة بني إسرائيل- وهي الأمة الخليفة على هذه الأرض، حتى قيام الساعة، وليس أمة اليهود، ولهذا جمع الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم الأنبياء والمرسلين

جميعاً- جمعاً غيبياً خاصاً- والتقى الرسول عليه الصلاة والسلام بهم في المسجد الأقصى وصلى بهم إماماً- كما قرر في أحاديثه الصحيحة عن رحلة الإسراء و المعراج.

فكان اجتماعه بهم، وإمامته بهم «مؤتمراً» إيمانياً حافلاً، شهد فيه «التسلم والتسليم»، حيث سلم الأنبياء السابقون الأمانة والخلافة والوراثة والعهد والمسؤولية لمحمد صلى الله عليه وسلم، ولأمته من بعده حتى قيام الساعة.

وجعل الله المسجد الأقصى وما حوله بداية المعراج للسماء، لأنها هي الأرض الواقعة قبالة باب السماء، وهي أرض المحشر والمنشر، إليها ينتهي حشر الناس من جميع بقاع الأرض، ليسمعوا عليها صيحة الصعق، فينصعقوا ويموتوا-كما صرحت بذلك الأحاديث الصحيحة- وبذلك تكون هذه الأرض المباركة مسرحاً للحظات الأخيرة من عمر البشرية في هذه الحياة الدنيا!.

سر الربط بين المسجدين

ربطت سورة الإسراء ربطاً دقيقاً بين المسجدين: المسجد الحرام بداية رحلة الإسراء، والمسجد الأقصى نهاية رحلة الإسراء، وهناك سر بديع لطيف للربط بين المسجدين، فمن بعض حكم هذا الربط:

إن المسجد الأقصى وما حوله، شهد وجود رسالات سابقة، منها اليهودية والنصرانية، كان أصحابها هم الخلفاء على الناس، والأمناء على الدين والإيمان، والوارثين للأرض المباركة. والمسجد الحرام شهد بداية الرسالة الجديدة الخاتمة، وولادة الأمة الإسلامية أمة الخلافة والوراثة والأمانة. فبما أن الأمة الجديدة تقيم حول المسجد الحرام، فلا بد لها كي تحقق خلافتها وأمانتها على البشرية من أن تتملك ما حول المسجد الأقصى، وأن ترثه هي من الذين يقيمون حوله.

ومنها: أن السورة تريد من المسلمين أن يحسنوا النظر للمسجد الأقصى وما

حوله، فهو مبارك كبركة المسجد الحرام وما حوله، ومقدس كقداسة المسجد الحرام وما حوله، واهتمامهم به لا يجوز أن يقل عن اهتمامهم بالمسجد الحرام وما حوله.

ومنها: تحذير المسلمين من المؤامرات المعادية ضد المسجدين، ومن أطماع الأعداء الكافرين في المسجدين، وأن الخطر الذي يتهدد المسجد الأقصى، هو الخطر الذي يتهدد المسجد الحرام.

فلما أخذ الصليبيون الأقصى وما حوله، واستقروا فيه، توجهت أنظارهم وبرامجهم ومطامعهم، نحو المسجد النبوي في المدينة المنورة، والمسجد الحرام في مكة المكرمة، فقام «أرناط» ملك الكرك الصليبي، بعدة محاولات لاحتلال بلاد الحجاز، كادت تنجح، لولا أن الله هيأ لهذه الأمة صلاح الدين.

ولا يخرج ما يجري في هذا الزمان وهذه الأيام، من مؤامرات ومكائد يهودية صليبية عن هذا الإطار، فأطماع اليهود في بلاد الحجاز معروفة، ومطامع الأمريكان والغربيين في الجزيرة العربية معروفة، ولم ينس مهندسو النظام العالمي الجديد ذلك، وما زلزال حرب الخليج إلا صورة عن ذلك!!

ومنها: إن السورة تقدم للمسلمين المستضعفين في مكة، المحاربين هناك، بشرى ربانية، بالفرج والنصر والتمكين، فستنتهي تلك المرحلة الحرجة التي يعيشونها في مكة، وسيكتب الله لهم التمكين، فيفتحون البلاد، ويهزمون الأعداء، ويصلون للمسجد الأقصى والأرض المباركة، متابعين خطى رسولهم صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، ويفتحون تلك البلاد، ويقيمون عليها حكم الله، ويعيدون تشييد المسجد الأقصى وبناءه. فالرسول صلى الله عليه وسلم كان ممهداً لفتح بلاد الشام، وكان إسراؤه إلى المسجد الأقصى إرهاصاً ربانياً بفتح المسلمين الحقيقي القادم لهذه الأرض.

صراع بين رسالتين

نلحظ في مقدمة سورة الإسراء انتقالاً مفاجئاً عجيباً من الإسراء إلى الحديث عن بني إسرائيل ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله، لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير، وآتينا موسى الكتاب، وجعلناه هدى لبني إسرائيل، ألا تتخذوا من دوني وكيلاً. ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾ (سورة الإسراء: ١-٣).

ثم: لماذا الكلام عن اليهود في هذه السورة المكية، ولماذا إخبار المسلمين المستضعفين في مكة بملامح التاريخ اليهودي الفاسد، ولم يكن هناك وجود لليهود في مكة، حيث كانوا في المدينة وما حولها، ولم يكن الصراع قد بدأ بين المسلمين واليهود، حيث بدأت مظاهره العملية الخارجية العنيفة في المدينة بعد الهجرة.

إن الله يريد تعريفنا على طبيعة صراعنا مع اليهود، وأنه صراع بين رسالتين: رسالة الحق التي يمثلها المسلمون، ورسالة الباطل التي يمثلها اليهود، صراع بين العبودية الإسلامية لله، وبين العبودية اليهودية للشيطان، صراع بين العباد المؤمنين الربانيين، وبين المفسدين المستعلين المتكبرين اليهود.

وإن الله يريد إعداد المسلمين للصراع العنيف مع اليهود، والذي سيبدأ على أرض المدينة، ثم يتوسع ويمتد، ليشمل الأرض المباركة وغيرها، ويبقى مستمراً حتى قبيل قيام الساعة، ليتصدوا لذلك الصراع الطويل المديد.

إفسادان لبني إسرائيل

تكلمنا فيما سبق عن سورة الإسراء وبني إسرائيل، وكلام السورة عن إفسادين لبني إسرائيل، وتحديدها لمستقبلهم على ضوء الإفسادين، كما تكلمنا عن المسجد الأقصى، والبركة حوله، ومظاهر هذه البركة، وبيّنا حكمة الإسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى، وسر الربط بين

المسجدين، المسجد الحرام في مكة، والمسجد الأقصى في القدس،ودلالة هذا على الصراع بيننا وبين اليهود، وأنه صراع بين رسالتين: الحق الإسلامي ضد الباطل اليهودي.

اختلاف في الإفسادين

أخبرتنا آيات سورة الإسراء عن قيام بني إسرائيل بإفسادين في الأرض، مقترنين بعلو كبير، وتحدثت عن ملامح اليهود في الإفسادين، وعن صفات العباد الذين يزيلون هذين الإفسادين، قال تعالى: ﴿وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب،لتفسدن في الأرض مرتين،ولتعلنّ علواً كبيراً. فإذا جاء وعد أولاهما، بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً. ثم رددنا لكم الكرة عليهم،وأمددناكم بأموال وبنين،وجعلناكم أكثر نفيراً،إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم،وإن أسأتم فلها،فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة،وليتبروا ما علوا تتبيراً عسى ربكم أن يرحمكم،وإن عدتم عدنا، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً. إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (سورة الإسراء: ٤-٩).

وقال تعالى في آخر السورة عن الإفساد الثاني لليهود: ﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل: اسكنوا الأرض، فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً﴾ (سورة الإسراء: ١٠٤)

إختلف العلماء السابقون -والمعاصرون - كثيراً في «إفسادي» بني إسرائيل، في زمانهما، وفي مكانهما، وفي تحديد الذين أزالوهما وهزموا بني إسرائيل.

معظم -إن لم أقل كل- السابقين ذهبوا إلى أن الإفسادين وقعا في التاريخ الماضي لبني إسرائيل قبل الإسلام، وقبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الإفسادين وقعا على أرض فلسطين، فهما قد حدثا ومرّا وانتهيا.

ورغم اتفاقهم على هذا، إلا أنهم اختلفوا في تحديد زمان كل إفساد منهما،

وتعيين السنوات التي حدث فيها، وأسماء حكامهم وحكوماتهم وأنبيائهم أثناءه، كما أنهم اختلفوا اختلافاً بيناً في تحديد الأقوام الذين حاربوا بني إسرائيل في فلسطين، ودمروا دولتهم، وأزالوا إفسادهم.

مع الطبري في الإفسادين

نختار الإمام الطبري -إمام المؤرخين- لنعرف خلاصة رأيه في الإفسادين، وباعتباره رائد «المنهج الجامع» في التفسير، فقد جمع في تفسيره معظم أقوال علماء التأويل.

أورد الطبري أقوالاً عديدة مختلفة حول الإفسادين، وسجل تفصيلات كثيرة لما جرى لبني إسرائيل على أيدي أعدائهم، هذا السرد والتفصيل منقول عن الإسرائيليات، مما يجعلنا نتوقف فيه فلا نأخذه ولا نعتمده ولا نقول به. وخلاصة ما قاله في الافسادين:

١- أن إفسادهم الأول: كان بقتلهم نبي الله زكريا عليه السلام وأن الذي سلطه الله عليهم هو بختنصر ملك بابل.

٢- وأن إفسادهم الثاني: كان بقتلهم ابنه نبي الله يحيى عليه السلام وأن الذي سلطه الله عليهم هو خردوس ملك بابل.

وأنهم عادوا بعد ذلك للإفساد ثلاث مرات، فسلط الله عليهم في كل مرة ملكاً من ملوك بابل.

ولا نريد أن «نشغل» القاريء بسرد التفصيلات المستمدة من الإسرائيليات، كما أننا لا نريد أن «نضيع» وقته بذكر الأقوال المختلفة والمتناقضة في تحديد الإفسادين.

إنما نريد أن نطرح هذه الأسئلة، التي نحاول أن توضح لنا الموضوع: هل بختنصر المتهم بإزالة إفسادهم الأول من عباد الله الصالحين؟

وأي ملك من ملوكهم قضى عليه؟ هل هو سليمان؟ أو أحد أولاده؟ وهل

حكم سليمان عليه السلام لهم علو وفساد وإفساد؟. ثم هل سجَّل التاريخ معركة واحدة تغلب فيها اليهود على البابليين؟ وهل عاد البابليون - العراقيون- لتدمير اليهود في فلسطين مرة ثانية؟ وأي مسجد دخلوه في فلسطين؟ وما معنى«إذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً»؟ وهل جاء الله بكل اليهود إلى فلسطين وقضى عليهم البابليون العراقيون؟ وهل جرى كل هذا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم؟

فهم معاصر للإفسادين

نجيزُ لأنفسنا أن نخالف جمهور العلماء والمفسرين من السابقين، في فهم وتفسير هذه الآيات، وفي تحديد إفسادي بني إسرائيل، وليست أقوال الطبري أو غيره من علماء التفسير ملزمةً لنا، طالما أنها اجتهادات في فهم الآيات، اعتمدت على الإسرائيليات التي نرفضها، وعلى روايات تاريخية لم تثبت تاريخياً ولا علمياً، ولم يعتمد الطبري ولا العلماء السابقون على حديث واحد صحيح ملزم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في تحديد الإفسادين.

إننا نخالف جمهور علماء التفسير السابقين، مع إجلالنا لهم، واحترامنا وتقديرنا لعلمهم.

ولعله من العذر الذي نعتذر به عنهم، أنهم كانوا يعيشون في زمن ، كان الحكم والسيطرة والسلطان للإسلام والمسلمين، وكان المسلمون أقوياء يحكمون الناس، وكان اليهود في ذلك الوقت أذلاء مستضعفين، وكانوا أفراداً قلائل ضائعين وسط الوجود الإسلامي الكبير، وكانوا خاضعين خضوعاً كاملاً للمسلمين.

لذلك ما كان أحد من أولئك العلماء السعداء، الذين سعدوا بالحياة في ظلال حكم الإسلام، وقوة وعزة المسلمين، ما كان يتوقع أو يتخيل، أن يصبح هؤلاء اليهود الذين يراهم أمامه على ذلك الضعف والتشتت والهوان، وأن

يصبحوا أصحاب دولة وسلطان، وأن يهزموا المسلمين وأن يأخذوا منهم فلسطين. ولذلك ذهب هؤلاء العلماء إلى أن إفسادي اليهود قد وقعا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

لذلك لا بد من إعادة النظر في فهم نصوص الآيات التي تتحدث عن إفسادي بني إسرائيل، ولا بد من إعادة فهم أحداث التاريخ، على ضوء كلمات الآيات، ولا بد من القول بما توحي به هذه الآيات والأحداث التاريخية، ومن ثم لا بد من تقديم «فهم» وتفسير جديد معاصر للآيات، قائم على تلك الآيات ومستمد منها، مستصحب الأحداث التاريخية السابقة المتفقة مع الآيات، وملاحظ «الحالة» الحاضرة لليهود والمسلمين وللأمم والدول، في هذا العالم المعاصر!

ولا مانع أن نخالف في هذا «الفهم المعاصر» تفسير وفهم ورأي واختيار العلماء السابقين -مع إجلالنا واحترامنا وتقديرنا لهم- طالما أنه اجتهاد في فهم آيات الإسراء، لا يعتمد على أحاديث صحيحة.

وأعترف بأنني لست «أول» من قال ويقول بهذا الفهم المعاصر للإفسادين، فقد سبقني إليه علماء ومفكرون وكاتبون ومتكلمون معاصرون، أنا متابع لهم، وإن كان لي من جهد، فهو التفصيل والتحديد والبيان، وتقديم مزيد من الحجج والأدلة والبراهين، واستنباطها من آيات سورة الإسراء نفسها، وتقديم تفسير لهذه الآيات على هذا الأساس.

إخبار الله لليهود في التوراة

قال الله عن إفسادي بني إسرائيل: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب، لتفسدن في الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً﴾.

«قضينا»: أي أعلمنا وأخبرنا بني إسرائيل.

«في الكتاب»: أي في التوراة، باعتبارها كتاب الله إلى بني إسرائيل.

لقد أخبر الله بني إسرائيل في التوراة على لسان نبيهم موسى عليه السلام، أنهم سيفسدون في المستقبل من تاريخهم «إفسادات» كثيرة، وسيعلون علوات كثيرة. وأشهر إفساداتهم وعلواتهم اثنان، يتجلى فيهما الإفساد اليهودي على أظهر صوره، ويظهر فيهما العلو اليهودي بأظهر معانيه وحالاته، وكل إفساد وعلو منهما، يتناسب مع مستوى العصر والزمان، الذي يقع فيه، من حيث مظاهره وألوانه وصوره ومجالاته وعمومه، ولا ننسى هذه الملاحظة، فسوف تساعدنا في تحديد الإفسادين.

ونظراً لأهمية هذين الإفسادين، وما فيهما من علو كبير لليهود، وأثرهما في تحديد مستقبل اليهود، فقد وضع الله لهم في التوراة تفصيلات لكل منهما، من حيث قوة وسلطان اليهود فيهما، ومن حيث صفات وملامح الذين يقضون عليهم فيهما.

وآيات سورة الإسراء تخبرنا نحن المسلمين، بما أعلم الله وأخبر به اليهود قبل مئات السنين، في التوراة، عن هذين الإفسادين.

إن اليهود يعرفون عن إفسادهم قبل أن نعرف نحن، لأن الله قد أخبرهم بذلك قبل أن يخبرنا، أخبرهم في التوراة قبل أن يخبرنا في القرآن.

اليهود يسيرون نحو حتفهم!

والعجيب أن اليهود ساروا ويسيرون نحو تحقيق ما أخبرهم الله به، وينفذون هذين الإفسادين -وغيرهما من إفساداتهم- وفق ما علمه الله منهم، ووفق ما أعلمهم أنهم سيفعلونه.

إنهم يتحركون وفق الإفساد والعلو الكبير، ويسيرون بهمة ونشاط نحو المزيد من الإفساد، والتمكن من العلو الكبير، ويعلمون ما يعقب ذلك من هزيمتهم وإزالتهم، وإهلاكهم والقضاء عليهم، يعلمون هذه النهاية البائسة لحكمهم وسلطانهم وإفسادهم وعلوهم، ومع ذلك لا يعملون على عدم المصير إليها،

ولا يحاولون تجنبها، ولكنهم يسرعون السير إليها بخطاهم، ومؤامراتهم ومكائدهم ومخططاتهم، وسبحان الله رب العالمين.

الإفساد والعلو ملازمان لحكم اليهود

والذي ندعو إلى النظر إليه بإمعان ودقة في الآية «لتفسدن في الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً»، حيث يقدم لنا هذا النص القرآني الكاشف، طبيعة وسمة وصفة الحكم اليهودي.

إن أهم ما توصف به الفترة التي يتحكم ويحكم فيها اليهود، أنها تقوم على الإفساد والعلو، فحكمهم حكم إفساد وعلو.

حكمهم يقوم على الإفساد، لأنهم فاسدون أولاً، ومفسدون ثانياً. ومعلوم أن كل فاسد فهو مفسد بالضرورة، وأن كل مفسد للآخرين فهو فاسد في نفسه قبل إفساد الآخرين.

إن الفساد والإفساد ملازمان لليهود في تاريخهم كله، وقد أخبرنا الله بذلك عنهم، فقال: ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، ويسعون في الأرض فساداً، والله لا يحب المفسدين﴾(المائدة: ٦٤).

والإفساد اليهودي الناتج عن حكمهم يكون شاملاً لكل الجوانب، متغلغلاً في كل المجالات، وهو إفساد للعقيدة والدين، والخلق والمال، والحكم والسلطان، والفكر والسلوك، والسياسة والاجتماع، والفن والتعليم. وبإلقاء نظرة على الإفساد اليهودي لهذه المجالات في العالم المعاصر، نخرج بهذه النتيجة القرآنية.

وحكم اليهود يقوم على: «العلو»، والعلو هو: التكبر والاستكبار، والانتفاش والتيه، والتبختر والجبروت، العلو اليهودي يعني استعباد الآخرين وإخضاعهم لليهود، وإذلالهم أمامهم، والقضاء على وجودهم وأموالهم، وأخلاقهم وإيمانهم وأعراضهم، وسحقهم أمام اليهود، وتحويلهم من

بشر إلى حيوانات في صورة بشرية، ليخدموا اليهود، وإلا فما هم بشر، لأنهم خلقوا من مني الحصان، كما يقول تلمود يهود!!

وبإلقاء نظرة على «العلو والاستكبار» اليهودي لدول العالم وحكوماته وشعوبه وزعمائه، في هذا العصر الحاضر، نخرج بهذه القناعة القرآنية.

إن اليهود يتعالون ويتكبرون على الشعوب الأخرى، لإنهم معقدون ناقصون مشوهون، مطعونون في نفسياتهم وشخصياتهم، لأنه لا يتكبر إلا ناقص، ولا يتعالى إلا مشوّه.

فترة حكم اليهود تقوم على الإفساد والعلو، والمرتان اللتان يتحكم فيهما اليهود أكثر من غيرهما، تقومان على الإفساد العام والعلو الكبير.

طبعاً يجب أن نستثني الفترة التي حكم فيها اليهود، أنبياؤهم ورسلهم، مثل فترة حكم موسى وهارون وداود وسليمان، وغيرهم عليهم الصلاة والسلام فهي فترة إسلامية إيمانية، مشرقة مضيئة، في الليل التاريخي اليهودي البهيم!!

وهذه الصفة والسمة لحكم اليهود: الإفساد والعلو، تدلنا على أنه حكم وتحكم قصير، لزمن محدد قصير، لأنه لن يطول حكم يقوم على ذلك، وفق السنة الربانية القاطعة: ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾(سورة القصص: ٨٣).

إفساد اليهود الأول في المدينة

أخبر الله اليهود في كتابهم التوراة أنهم سيفسدون في الأرض مرتين، وسيعلون علواً كبيراً، وبين لهم مواصفات وسمات الذين يزيلون إفسادهم في كلتي المرتين:

قال تعالى﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب، لتفسدن في الأرض مرتين، ولتعلنّ علواً كبيراً، فإذا جاء وعد أولاهما، بعثنا عليكم عباداً لنا، أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً﴾ (سورة الإسراء: ٤-٥).

معنى القضاء في القرآن

نقف لحظة مع قوله تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾. القضاء هنا بمعنى: الإعلام والإخبار، أي أخبرنا بني إسرائيل، وأعلمناهم بما سيفعلونه في مستقبل تاريخهم.

وقد أخبرهم بالإفسادين في كتابهم، فالمراد بقوله«في الكتاب» في التوراة، لأن التوراة كتاب من كتب الله، وقد أنزلها الله على موسى عليه السلام، لتكون نوراً وهدى لبني إسرائيل، لكنهم طمسوا نورها، وعطلوا هداها فيما بعد، لما حرفوها وأضافوا لها كلامهم وأكاذيبهم.

لقد أخبر الله اليهود في التوراة وعلى لسان نبيهم موسى عليه السلام، أنه سيقع منهم إفساد في الأرض، وسيتعاملون مع الآخرين بالعلو والاستكبار، وسيكون هذا الفساد بارزاً واضحاً في «مرتين»، أثناء تاريخهم الطويل.

والقضاء في القرآن قد يكون بمعنى الأمر، وقد يكون بمعنى الحكم، وقد يكون بمعنى الإعلام والإخبار، والذي يحدد المعنى هو السياق الذي فيه اللفظ، وما تعدى به اللفظ إلى ما بعده.

فمن ورود القضاء بمعنى الأمر قوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحساناً﴾ (الإسراء: ٢٣) والمعنى: قضى ربك عبادته وأمر بها.

ومن ورود القضاء بمعنى الحكم، قوله تعالى: ﴿والله يقضي بالحق، والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء﴾(غافر: ٢٠) أي الله يحكم بالحق، وغيره من الشركاء لا يحكمون بشيء، ونلاحظ تعدية الفعل يقضي بالباء.

ومن ورود القضاء بمعنى الإيجاد: قوله تعالى عن السماوات والأرض: ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين، وأوحى في كل سماء أمرها﴾ (فصلت: ١٢) ونلاحظ أن الفعل هنا تعدى إلى المفعول به«هن» مباشرة.

ومن ورد القضاء بمعنى الحكم على الإنسان مباشرة، فيما لا بد له منه، قوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ (الزمر: ٤٢) ونلاحظ تعدية «قضى» بحرف الجر «على».

ومن ورود القضاء بمعنى الإخبار والإعلام:

١- إخبار لوط عليه السلام بحكم الله بإهلاك قومه الشاذين، ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر، أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ (الحجر: ٦٦).

٢- إخبار موسى عليه السلام بالنبوة، وإعلامه بذلك وهو عند جبل الطور، ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر، وما كنت من الشاهدين﴾ (القصص: ٤٤).

ونلاحظ أن الفعل في الآيات الثلاث تعدى بحرف الجر «إلى».

وأدعو القارىء إلى ملاحظة الفرق في الصياغة وفي المعنى بين «قضاهن» و«قضى إلى موسى»، ليقف على نموذج لبلاغة القرآن وأسلوبه المعجز، وليتذوق ذلك تمهيداً للبحث عن نماذج أخرى، وما أكثرها في القرآن!!

أين إفساد اليهود الأول؟

«وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً. . . . فإذا جاء وعد أولاهما. . . .»

هل كان إفسادهم الأول في الأرض المقدسة فلسطين؟ وعلى يد من كان إفسادهم في فلسطين؟ وما هي مظاهر إفسادهم في فلسطين؟

هل كان على عهد نبي الله موسى عليه السلام؟ وعهد موسى وقيادته لهم ليست إفساداً، وموسى عليه السلام مات قبل دخولهم فلسطين!

هل كان على عهد خليفة موسى بعد وفاته، وهو فتاه المذكور في سورة الكهف وهو«يوشع بن نون» كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فيما رواه عنه البخاري في صحيحه، و«يوشع بن نون» في حكمه وقيادته لهم قام بنفس دور «أبي بكر الصديق» عندنا، رضي الله عنه، وعهد يوشع ليس إفساداً ولا علواً، ودَعْكَ من خرافات وإسرائيليات اليهود حول قيادته وحروبه.

هل كان إفسادهم الأول على عهد ملكهم الصالح طالوت؟ الذي ذكرت سورة البقرة مشهداً من قصته،وطالوت رجل صالح مجاهد في سبيل الله،وحكمه ليس إفساداً ولا علواً.

هل كان إفسادهم الأول على عهد النبيين الكريمين والملكين العادلين: داود وابنه سليمان -عليهما الصلاة والسلام- وهي الفترة المنيرة المشرقة التي حكم فيها بنو إسرائيل في الأرض المقدسة حكماً إسلامياً ربانياً راشداً.

ثم ماذا جرى لليهود بعد حكم سليمان عليه السلام؟ هل كان لهم سلطان؟ وهل مارسوا فيه الفساد والعلو الكبير؟ لقد هُزموا وشُردوا في الأرض، وسيقوا أسرى وسبايا إلى بابل فأين العلو الكبير في هذا؟

نرى أن إفسادهم الأول المقرون بالعلو الكبير، لم يكن أثناء وجودهم في الأرض المقدسة، فلسطين، والله أعلم.

إفسادهم الأول في المدينة

نرى -والله أعلم- أن إفساد اليهود الأول المقرون بالعلو الكبير،كان في بلاد الحجاز، قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد البعثة.

لقد أتت قبائل من اليهود من «الأرض المقدسة» إلى بلاد الحجاز، وإلى المدينة وما حولها بالتحديد، وكانوا هاربين من الاضطهاد اليوناني والروماني، الذي صُب عليهم في بلاد الشام، وكان مجيئهم قبل قرون من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

ووجد اليهود أمامهم في منطقة «يثرب» قبائل عربية، تعيش حياة بدائية ساذجة متخلفة، مثل الأوس والخزرج.

وصار اليهود القادمون المستوطنون، يتعاملون مع العرب المقيمين في يثرب وخيبر وفدك وتيماء ووادي القرى بتعال وتكبر و«تعالم»: أليسوا أهل كتاب؟ أليسوا علماء كاتبين؟ أليسوا أبناء الله وأحباءه؟ ومن هم الذين أمامهم؟ إنهم عرب وثنيون، يعبدون الأوثان والأصنام، إنهم أميون وجاهلون، إنهم متخلفون ساذجون، إنهم بدائيون، إنهم ناقصون في إنسانيتهم، لأنه لا يجري في عروقهم الدم اليهودي النقي، ولم يخلقوا من «النطفة» اليهودية النظيفة!!!

نظر اليهود للعرب في الحجاز بهذا المنظار العنصري المتعالي، وتعاملوا معهم بهذا التعالم والتفاصح والاستكبار!

والعجب أنهم وجدوا من أولئك العرب الجاهلين رضى وقبولاً: كانوا «مبهورين معجبين» بما عند اليهود من علم ومعرفة وثقافة، وكانوا راضين بهذا التفوق اليهودي عليهم، «قابلين» نفسياً بالتبعية لهم، مستعدين نفسياً للخضوع لهم. و«تفنن» اليهود في التحكم بالعرب من حولهم، واستخدموا كل ما أوحت لهم به عقليتهم اليهودية الشيطانية، من وسائل وأساليب، للتمكن من العرب، واستمرار إخضاعهم لهم، ونشر الفساد بينهم، وامتصاص خيراتهم ومواردهم.

هذا هو الوضع الذي كان عليه العرب في منطقة المدينة، قبل ظهور الإسلام، وهذه هي الصلة التي كانت بينهم وبين اليهود.

ولذلك قلنا هذا هو الإفساد الأول الذي قام به اليهود في منطقة المدينة، وهو مقرون بالعلو الكبير كما حددت الآية.

ومعلوم أن اليهود وقتها كانوا كافرين، لأن هذا حصل بعد بعثة عيسى -عليه السلام-، وبعدما أمرهم الله أن يؤمنوا به ويتبعوه، ولكنهم كفروا به.

لقد حكموا العرب في المدينة وما حولها قبل الهجرة، وكان حكمهم حكماً كافراً ناشراً للفساد، متصفاً بالعلو الكبير، ولم يكن هذا في حكمهم في الأرض المقدسة في عهد داود وسليمان عليهما السلام.

مظاهر فسادهم وإفسادهم في المدينة

عندما نتدبر الآية التي تحدثت عن إفسادهم الأول، ونطبقها على فترة حكمهم في المدينة، فسنجدها تنطبق عليهم تماماً:

كان فسادهم عقيدياً، فكانوا يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الجنة مقصورة عليهم، وأن عزيراً ابن الله، وغير ذلك.

كان فسادهم أخلاقياً، فكانوا يعملون على إفساد أخلاق العرب من حولهم، وكان فسادهم إجتماعياً، حيث عملوا على تفكيك وإضعاف صلات العرب الإجتماعية.

وكان فسادهم علمياً، حيث روَّجوا لإسرائيلياتهم هم، ونشروها بين العرب، وهي لا تعدو كونها خرافات وأكاذيب وأساطير.

وكان فسادهم سياسياً، حيث أفسدوا حياة القبائل العربية السياسية -إذا صح التعبير- ونشروا بينهم الخلاف والنزاع والفرقة، وحرصوا على ربط هذه القبائل بهم في صورة أحلاف، حيث كانت كل قبيلة عربية متحالفة ومرتبطة بقبيلة يهودية.

لقد أفسد اليهود كل مظاهر ومرافق ومجالات الحياة العربية، في منطقة المدينة قبل الإسلام، وتحكموا في المال والاقتصاد عند العرب، ويكفي أن نعلم أن سوق الذهب في المدينة كان بيد اليهود، وأن «السوق الكبير» للتجارة والبيع والشراء كان بيدهم، وأن «المال» كان بيدهم، وأنهم أرهقوا العرب بالقروض الربوية الباهظة.

إفسادهم في المدينة بعد البعثة

كان اليهود يبشرون العرب في المدينة بقرب ظهور النبي، وكانوا يهددونهم بأنهم سيتبعونه، ويقتلون العرب معه، ولهذا لما التقى قوم من الأوس والخزرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة، قال بعضهم: هذا والله هو النبي

الذي أخبركم به يهود، فلا يسبقونكم إليه! وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم كتابٌ من الله مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (البقرة: ٨٩).

ولما ظهر الإسلام كانوا أشد الناس حرباً له، ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، كانوا أكثر الناس عداوة له.

وهذا من أظهر وأوضح مظاهر إفسادهم الكبير لما كانوا في المدينة وما حولها، وكانت معاداتهم للرسول عليه السلام منذ ليلة مولده، وقبل بعثته، وبعد نبوته، وقبل الهجرة، وبعد الهجرة!!.

نتدبر معاً هذه الأخبار المذكورة في كتب السيرة

أولاً: تروي كتب السيرة، أنه في الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان هناك يهودي في مكة، قادماً من المدينة، فقال لعبد المطلب: لقد ولد لكم الليلة مولود: قال: نعم. قال: أرني أنظر إليه، فحمل اليهودي الغلام محمداً -عليه الصلاة والسلام- وكشف عن كتفه الأيسر، ورأى خاتم النبوة، فلما رأى ذلك أغمى عليه وسط دهشة الحاضرين، ولما أفاق قال لعبد المطلب: لقد نزع الله الملك من بني إسرائيل، وأعطاه لكم يا بني إسماعيل!!

ثانياً: تروي حليمة السعدية، أنها كانت تسير مع الغلام محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو رضيع عندها في مكة، فقابلها رجلان من اليهود وسألاها: من والد هذا الغلام الذي معها، فألهمها الله أن تقول: ها هو أبوه، وأشارت إلى زوجها، فقالا لها: نحن نبحث عن غلام يتيم! فلماذا يبحثان عنه؟ أليس من أجل إغتياله؟

ثالثاً: لما ذهب أبو طالب في تجارة للشام، وأخذ معه محمداً -صلى الله عليه وسلم- وكان فتى صغيراً، قابل أبو طالب الراهب «بُحيرى» في بلاد

الشام، وبعد حوار معه ومع الفتى محمد، قال: بحيرى لأبي طالب: سيكون لابن أخيك شأن، فعد به إلى مكة، واحذر عليه يهود، فإذا عرفوا عنه ما عرفت سيقتلونه!!

رابعاً: بعد النبوة واحتدام الصراع النظري بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين قريش في مكة، استعانت قريش باليهود في حربه، وطلب اليهود أن توجَّه للرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة أسئله حرجة، لا يعلمها إلا نبي: عن الروح، وأهل الكهف، وذي القرنين.

خامساً: ما قام به اليهود بعد الهجرة، من محاولات عديدة لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما فعل يهود بني النضير به، عندما حاولوا إلقاء صخرة على رأسه، وعندما دست له اليهودية السم في الشاة، يوم غزوة خيبر.

سادساً: ما فعله حيي بن أخطب ملك اليهود، عندما حزَّبَ الأحزاب من قريش والقبائل العربية، وحلف لهم أنهم -وهم المشركون- أقرب إلى الله من محمد، ودينهم أحبُّ إلى الله من دين محمد -صلى الله عليه وسلم-، وجاء بهؤلاء الأحزاب إلى المدينة، ليقضوا على الرسول والمسلمين في غزوة الأحزاب، فهل هناك فساد أكبر من هذا الفساد؟ وهل هناك علو أكبر من هذا العلو؟

إذن: لقد كان إفساد اليهود الأول المقرون بالعلو الكبير، في المدينة وما حولها، من خيبر وفدك وتيماء، كما يبدو لنا- والله أعلم-.

الرسول وأصحابه أزالوا إفسادهم الأول

قال تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً، فإذا جاء وعد أولاهما، بعثنا عليكم عباداً لنا، أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً﴾.

وقفتنا مع هذه الآية الثانية، التي تتحدث عن صفات الذين يزيلون إفساد اليهود الأول، لتسجيل الأدلة منها، على أنهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

«فإذا جاء وعد أولاهما....»

عبرت الآية عن الإفساد الأول بأداة «إذا»

و«إذا» هي: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه -كما يقول علماء النحو- أي: بعثنا عليكم عبادا لنا، وقت مجيء وعد أولاهما.

وأولاهما: مفرد: المراد به المرة الأولى من المرتين المذكورتين قبل، «لتفسدن في الأرض مرتين» فإذا جاء وقت المرة الأولى بعثنا عليكم عباداً لنا.

إن هذه العبارة «إذا جاء وعد أولاهما» توحي لنا أن مجيء وعد الله بالقضاء على الإفسادين، يكون بعد نزول آيات سورة الإسراء، التي تحدثت عن الإفسادين، وعن إزالتهما، كلاماً نظرياً، وهذا الكلام النظري وعد قرآني، وهذا الوعد لا بد أن يتحقق فعلاً في الواقع، لأن ما وعد الله به في القرآن فلا بد أن يتحقق، فلا خُلْف في موعود الله، لأن الله لا يخلف الميعاد. لقد وعد الله في آيات سورة الإسراء بإزالة إفسادين يهوديين، فمتى يتحقق هذا الوعد؟ ومتى يأتي الرجال الربانيون الذين يزيلون الإفساد الأول والإفساد الثاني؟ هل يأتون في الزمان قبل وقوع الإفساد الأول والإفساد الثاني؟ هل يأتون في الزمان قبل نزول الآيات التي تحدثت عن مجيئهم وبينت صفاتهم؟ أم بعد نزولها؟

إنهم يأتون بعد نزولها، فيكون مجيئهم تطبيقاً عملياً لها، وتصديقاً وتحقيقاً لموعودها.

وبما أن الآيات مكية، فلا بد أن يكون مجيء هؤلاء الرجال فيما بعد،

وهذا ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، ولهذا قالت الآية: «فإذا جاء وعد أولاهما».

«بعثنا عليكم.....»

تقرر الآية أن الرجال الذين يقضون على الإفساد الأول مبعوثون، يبعثهم الله بعثاً على اليهود، وعلى إفساد اليهود.

إن فاعل «بعثنا» هو ضمير «نا»، وهو يعود إلى الله، أي أن الله هو الذي يبعثهم، وإسناد الفعل إلى الله، إسناد حقيقي، لأن الله هو المقدر والمريد، لكل ما يحدث في الحياة، وهو المسبب لكل حركة أو فعل أو تصرف.

فالله شاء حدوث الإفساد الأول لليهود، والله الذي قدر ذلك، والله الذي أملى لهم فقاموا بذلك، ثم الله هو الذي أراد تدمير وإزالة ذلك الإفساد، فلما حان وقت تحقيق إرادة الله، وجاء وعد أولاهما، بعث الله الصحابة بعثاً، فأزالوا ذلك الإفساد.

إن التعبير بالبعث للصحابة مقصود ومراد، فالله بعث الصحابة بعثاً من العدم: فماذا كان الصحابة قبل إسلامهم؟

وكيف كان وضع العرب قبل إسلامهم؟ وكم كانوا يساوون عند الأمم الأخرى، كالفرس والروم قبل إسلامهم؟ وكيف كانت حالة بلادهم قبل إسلامهم؟ وكيف كانت صلتهم باليهود في المدينة وما حولها قبل إسلامهم؟ الجواب معروف لكل دارس لأحوال العرب قبل الإسلام، متتبع لتاريخهم!.

ثم ما هي النقلة البعيدة التي نقل الإسلام العرب إليها؟ كيف صارت حياتهم؟ كيف تغيرت صلتهم باليهود؟ وتبودلت الأدوار؟ فاليهود زعماء الأمس صاروا أتباعاً أذلاء، والعرب أذلاء الأمس صاروا هم السادة والرؤساء بالإسلام!

هذه المعاني كلها تحملها كلمة «بعثنا» بما تقرره من إيحاءات، وتلقيه من ظلال وإشارات.

وبعثَ اللهُ الرسول والصحابة على اليهود «عليكم»،ووجَّه قوةَ وبأس الصحابة لتصب على رؤوس اليهود.

وتلقي لنا كلمة «بعثنا» معنى آخر، وهو أن مجيء هؤلاء الربانيين، المبعوثين على اليهود، لم يكن «متوقعاً» من القوى الدولية ذلك الزمان، إذ لم يحسب أحد لهم حساباً، ولم يتوقع لهم قوة ولا رسالة، لا اليهود، ولا الرومان، ولا الفرس، ثم بعث الله الصحابة بعثاً، فأزالوا إفساد اليهود، وورثوا قوة اليهود الصغيرة في المدينة، وقوة فارس والروم الكبيرة في العالم.

«عباداً لنا....»

نفهم من هذه الجملة «عباداً لنا» أنها لا تنطبق إلا على الصحابة، لأن الله سماهم «عباداً»،وأضافهم إليه «لنا».

إن كلمة، «عباد» لا تنطبق على «الكافرين» السابقين،الذين نَسبَ لهم بعضُ المؤرخين المسلمين إزالة الإفسادين اليهوديين مثل بختنصر وغيره، وقد ناقشنا هؤلاء فيما سبق .

لقد فرق القرآن بين كلمتين: عباد وعبيد -لأنه لا ترادف في كلمات القرآن-

كلمة عبيد في القرآن مذكورة خمس مرات، وهي في المرات الخمس يراد بها الكفار، ومعظمها بصيغة: «وما ربك بظلام للعبيد» أي: إن الله عادل مع الكفار، في حسابه لهم يوم القيامة، فيدخلهم النار بعدله، ولا يظلمهم في ذلك.

و«عبيد» بالياء وهذه «الياء» المنبطحة، توحي بالذلة الملازمة للكافر، التي لا تفارقه، لا في الدنيا ولا في الاخرة.

أما «عباد» فهي مذكورة في القرآن خمساً وتسعين مرة، وهي في غالب هذه المرات يراد بها المؤمنون الصالحون -أكثر من تسعين مرة- «وعباد» بالألف،

وهذه الألف المنتصبة توحي بالعزة والكرامة والاستعلاء، وهي الحالة الدائمة التي لا تفارق المسلم.

على ضوء هذا البيان، نرى أن كلمة «عباداً لنا» يراد بها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، الذين أزالوا إفساد اليهود الأول في المدينة.

وأن إضافتهم إلى الله« عباداً لنا» إضافة تكريم وتشريف، استحقوها بإخلاص عبادتهم لله، وتحقيق عبوديتهم له، وهذا الشرف لا يستحقه الكفار السابقون مثل بختنصر.

إن «عباداً» لا بد أن نربطها مع قول الله عن محمد عليه السلام «أسرى بعبده»، ومع قول الله عن نوح عليه السلام «إنه كان عبداً شكوراً»، حيث تلتقي العبودية في المواضع الثلاثة لتدل على العبودية الاختيارية التكليفية التي ينالها الأنبياء وأتباعهم، بصدق وإخلاص والتزام!

«أولي بأس شديد.....»

هؤلاء العباد الربانيون كانوا «أولي بأس شديد» أي اتصفوا بالقوة العظيمة، والبأس الشديد، ووجهوا قوتهم لليهود ليقضوا على قوتهم، ووجهوا بأسهم الشديد نحو إفساد اليهود وكيانهم في المدينة فأزالوه.

لقد واجه الصحابة اليهود ببأسهم وقوتهم فهزموهم، ولا يقف اليهود أمام المؤمنين الأقوياء، ولا يصمدون أمام المؤمنين، أولي البأس الشديد.

كان الصحابة أقوياء أولي بأس شديد، في صراعهم مع اليهود وقتالهم لهم.

وكانت قوة الصحابة وبأسهم في مواجهة اليهود، في جانبين: جانب مادي، تمثل في شدة قتالهم لليهود، وجانب معنوي، تمثل في شدة مواجهتهم وتحديهم لليهود، وإذلالهم لهم.

يمثل الجانب الأول البطولات العظيمة التي قدمها الصحابة، وهم يحاصرون بني قينقاع، وبني النضير، وهم يقتلون يهود بني قريظة، وهم يقاتلون اليهود، في خيبر، ويخرجونهم منها.

ففي غزوة خيبر، أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم الراية لعلي بن أبي طالب، ويقاتل علي اليهود، ويبارز زعيمهم «مرحب»، ويقتله، وتتكسر في يده عدة أسياف، ولا يجد ما يتترس به في يده، فيقتلع باب الحصن الثقيل، ويحمله بيده ترساً، ويقاتل بالسيف بيده الأخرى، ويصول ويجول كالأسد الهصور!!

ويمثل جانب القوة المعنوية، شدة الصحابة على اليهود، وعزتهم أمامهم، وحرصهم على إذلالهم، وما مواقف أبي بكر وعمر وعلي وعبادة بن الصامت وعبد الله بن رواحة وغيرهم، عنا ببعيدة.

لقد حكم «سعد بن معاذ» على يهود بني قريظة حكماً ربانياً، يمثل هذا الجانب، ويترجم قوله «أولي بأس شديد» ترجمة عملية واقعية، حيث حكم بقتل رجالهم، وسبي نسائهم، وأطفالهم، ومصادرة أموالهم، واستملاك بيوتهم وأراضيهم، وأثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على حكمه بقوله: لقد حكمت بحكم الله. فكيف يكون البأس الشديد إن لم يكن هكذا؟

«فجاسوا خلال الديار...»

هؤلاء الصحابة الربانيون جاسوا خلال ديار اليهود، وأزالوا إفسادهم الأول في المدينة. وجاسوا من الجوس، والجوس هو تخلل الشيء، والتغلغل فيه.

أي أن الصحابة احتلوا ديار اليهود، داسوها بأقدامهم، وحطموا كيان اليهود عليها، ثم دخلوها وجاسوا خلالها، وتغلغلوا فيها، أليس هذا ما فعله الصحابة بديار اليهود من بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، ويهود خيبر، ويهود وادي القرى، ويهود فدك وتيماء؟

لقد أزالوا كياناتهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أجلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقايا اليهود من الجزيرة العربية، وأخرجهم منها، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن جزيرة العرب: لا يجتمع في جزيرة العرب دينان.

وقد أشار القرآن إلى هذا «الجوس» الإيماني خلال ديار اليهود، فقال تعالى ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم، وقذف في قلوبهم الرعب، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً. وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم، وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً﴾ (الأحزاب: ٢٦-٢٧).

لقد ضمن اللهُ تحقيق وعده ببعث الصحابة على اليهود، لإزالة إفسادهم الأول في المدينة بقوله: «وكان وعداً مفعولاً»، وتحقق ما وعد الله به في هذه الآية المكية، على أيدي الصحابة في المدينة، وبذلك قضوا على إفساد اليهود الأول.

نحن نعيش الإفساد الثاني لليهود

رجحنا أن إفسادي اليهود الأول والثاني بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن إفسادهم الأول كان في المدينة وما حولها قبل الهجرة، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه، هم الذين أزالوا إفسادهم الأول. ونتكلم الآن عن إفساد اليهود الثاني، الذي نعتقد أنه يجري في هذا الزمان، وأننا نعيش ذلك الإفساد الثاني، وأننا نحن المسلمون مرشحون لإزالة ذلك الإفساد الثاني!

نضع أمام القاريء الكريم الآيات التي تتحدث عن الإفساد الثاني، ثم ننظر إليها ونحللها، ونستخرج بعض دلالاتها -بعون الله-.

قال تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب، لتفسدن في الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً، فإذا جاء وعد أولاهما: بعثنا عليكم عباداً لنا، أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً، ثم رددنا لكم الكرة عليهم، وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها، فإذا جاء وعد الآخرة: ليسوءوا وجوهكم،

وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيراً، عسى ربكم أن يرحمكم، وإن عدتُم عدنا، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً، إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (سورة الإسراء: ٤-٩).

وعندما ننظر في الآيات السابقة، فإننا نرى الآية الرابعة من السورة تتحدث عن إعلام الله لليهود بالإفسادين، والآية الخامسة تتحدث عن الذين أزالوا إفسادهم الأول، والآية السادسة تتحدث عن مظاهر قوة وتمكن اليهود في إفسادهم الثاني، والآية السابعة تتحدث عن الذين يزيلون إفسادهم الثاني، وكيفية تحقق ذلك، والآية الثامنة تكشف لنا طبيعة اليهود في الإساءة وعدم الإحسان، واستمرار عقاب الله لهم، والآية التاسعة تبين لنا طبيعة القرآن الهادية، الذي وردت فيه هذه الحقائق عن إفساد اليهود.

الحرب في الإفسادين بينهم وبين المسلمين

يكشف لنا سياق الآيات السابقة عن حقيقة هادية، وهي أن الحرب والمعركة في الإفسادين، بين اليهود من جهة، وبين نفس الأمة من جهة أخرى، أي أن إفساد اليهود الأول كان موجهاً إلى أمة، وأن هذه الأمة هي التي تزيل ذلك الإفساد، عندما تكون قوية. وأن الأجيال القادمة من هذه الأمة تصاب بالضعف، فيرد الله لليهود الكرة على الأمة نفسها بأجيالها اللاحقة، فيغلبونهم ويتمكنون منهم، ويصبون عليهم إفسادهم الثاني، ثم تتقوى أجيال تالية من نفس تلك الأمة، فتتمكن من اليهود، وتزيل إفسادهم الثاني.

فإذا علمنا أن إفسادهم الأول كان في المدينة، وأن المسلمين هم الذين قضوا على ذلك الإفساد، نعلم أن الكرة تعود لليهود في الإفساد الثاني على الأجيال اللاحقة من المسلمين، وهي الأجيال التي تعيش في هذا الزمان: «ثم رددنا لكم الكرة عليهم».

«ثم رددنا لكم الكرة عليهم...»

ننظر في هذه الجملة من الآية السادسة من السورة، لنستخرج منها بعض الدلالات على ما نقول:

عبرت الآية عن الإفساد الثاني بحرف «ثم»، وهو حرف يدل على التراخي، أي أن إفسادهم الثاني لا يعقب إفسادهم الأول مباشرة، وإنما هو متراخ متأخر عنه.

فإفسادهم الأول كان في المدينة، وإفسادهم الثاني الآن، وبين الإفسادين فترة زمنية تقارب أربعة عشر قرناً.

وهذا التراخي الزمني مستفاد من حرف «ثم»، لأن المعركة في الإفسادين هي بين اليهود والمسلمين، فإذا كانت الأجيال الأولى للمسلمين قوية، بحيث تمكنت من إزالة إفسادهم الأول، فإن خط انحدار المسلمين يحتاج إلى فترة زمنية، ينحدرون فيها ويضعفون ويذلون، فيتمكن اليهود منهم، ويمارسون عليهم إفسادهم الثاني، هذه الفترة الزمنية أخذت أربعة عشر قرناً!!

وكل كلمة في الجملة «ثم رددنا لكم الكرة عليهم» تدل على أن المعركة في الإفسادين هي بين المسلمين وبين اليهود.

فالرد في: «رددنا» يعني الإعادة، أي أن الله هو الذي يمكن لليهود في إفسادهم الثاني، ويرد لهم القوة المؤقتة والسلطان المؤقت.

والرد هو لليهود: «لكم».

و«الكرة» هي المرة الثانية، التي يمارسون فيها إفسادهم الثاني.

و«عليهم»: أي على الناس الذين حاربوكم من قبل، وأزالوا إفسادكم الأول، فالضمير في «عليهم» يعود على المسلمين المقصودين في الآية السابقة: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد﴾.

فالله رد الكَرَّة لليهود على الأجيال اللاحقة للمسلمين الأوائل، الذين أزالوا إفساد اليهود الأول، أي أننا نحن مسلمي هذا الزمان المقصودون بالضمير في «عليهم».

ولم تكن لليهود كرة أخرى على الأقوام السابقين، الذين حاربوهم قبل الإسلام، ودمروا كيانهم الماضي على أرض فلسطين، هل كان لليهود السابقين كرة أخرى على قوم بختنصر البابلي؟ أو سنحاريب الأشوري؟ أو تيطس اليوناني؟ وهل حاربوا في الماضي أولئك الأقوام؟ وهزموهم واحتلوا بلادهم؟

«وأمددناكم بأموال وبنين...»

تبين لنا الآية مظاهر قوة اليهود في إفسادهم الثاني، فتقول: «وأمددناكم بأموال وبنين».

فعل "أمددناكم" يعني أن الله بمشيئته وقدره هو الذي يمد اليهود في إفسادهم الثاني بمظاهر القوة، التي تتمثل في الأموال والبنين، وهو الذي يسخر الأقوام والدول الأخرى، لتقديم الأموال والبنين لهم، وإمدادهم بتلك القوة، وذلك ليتحقق قدره سبحانه، في تهيئة المسلمين لإزالة إفسادهم الثاني.

ويوحي لنا فعل «أمددناكم» بإيحاء آخر، وهو أن قوة اليهود في إفسادهم الثاني ليست ذاتية أصيلة، أي أنها ليست نابعة منهم، وناتجة عن جهدهم وأصالتهم واكتفائهم الذاتي، وإنما هي قوة خارجية مستوردة، مستمدة من الآخرين، ومعتمدة على مساعداتهم وإمداداتهم، فاليهود يعتمدون على الدول والأمم الأخرى في أموالهم وبنيهم.

وهذا الإمداد الخارجي، فيه القضاء على اليهود في إفسادهم الثاني، ويوحي بالمستقبل المظلم الذي ينتظر كيانهم على أرض فلسطين، لأن هذا الإمداد لن يستمر، بل سيتوقف وينقطع، وماذا سيفعل اليهود عند توقف هذه الإمدادات الخارجية؟

عندما تعتمد دولة على إمكاناتها ومواردها الذاتية، تكون قوية، وعندما تعتمد على الإمدادات والمعونات الخارجية، تكون ضعيفة، وقوتها الظاهرية الخادعة موقوتة، مرهونة باستمرار تلك الإمدادات، وزائلة عند توقفها وانقطاعها، وما وضع الدول في هذا العصر إلا تصديق واقعي لهذه الحقيقة، حيث أن اقتصادها وموقفها وسياستها وقولها بل ووجودها، رهن الإمدادات والمساعدات المالية والاقتصادية من الدول الكبرى الغنية.

إن الدول الكبرى التي تمد الكيان اليهودي الآن بالإمدادات المالية والبشرية، سوف توقف هذه الإمدادات في المستقبل، عندما تصحو شعوبها، وتدرك مقدار خسارتها الفادحة، في دعمها لليهود وإمدادها لهم.

وتبين لنا الآية أن الإمداد الخارجي لليهود يتم بوسيلتين عظيمتين، وقناتين كبيرتين: الأولى إمداد بالأموال، والثانية: إمداد بالبنين، وهاتان الوسيلتان هما قاعدة القوة المادية لليهود في هذا الزمان، فالمال هو عصب الحياة الاقتصادية، والاقتصاد ضروري لأية دولة، وينتج عن المال والإقتصاد مظاهر الحياة المادية، من صناعة وتقدم ودخل.

والبنون هم أساس استمرار الكيان، فوجود الكيان المادي وقوته، مرتبط باستمرار النمو السكاني، وكثرة المواليد، وزيادة عدد السكان.

قناتان تمدان اليهود

وهناك بُعد واقعي معاصر لقوله: ﴿أمددناكم بأموال وبنين﴾، إذ أنه أبرز ما ينطبق على الكيان اليهودي، القائم الآن على أرض فلسطين، حيث تمكن اليهود من السيطرة على الدول الكبرى والصغرى، وتسخيرها لهم، وتحويل قنواتها لتصب في كيانهم في فلسطين. إلا إننا نرى قناتين واسعتين غزيرتين، تصبان بغزارة في كيان اليهود:

القناة الأولى: القناة المادية، المتمثلة في المساعدات المالية من الدول الغربية،

كأمريكا وألمانيا وفرنسا، التي تقدم لليهود، وأكثر هذه الأموال تأتي من أمريكا، وتتمثل في عشرات المليارات من الدولارات، تقدمها أمريكا لليهود سنوياً!!

ولولا هذه الإمدادات المالية لما تمكن الكيان اليهودي من الوقوف على قدميه في فلسطين، ونتخيل ماذا سيحدث لهذا الكيان، عندما تغلق هذه القنوات المالية الأوروبية والأمريكية، وستغلق بإذن الله ليتحقق وعد الله، الذي وعدنا إياه.

القناة الثانية: القناة البشرية، المتمثلة في البنين اليهود، القادمين إلى فلسطين، إمداداً لليهود المقيمين فيها من قبل، هؤلاء اليهود القادمون في صورة مهاجرين عائدين إلى أرض الميعاد، وقادمين من مختلف بلاد العالم، مثل يهود الفلاشا القادمين من إثيوبيا، وذلك السيل اليهودي البشري القادم من روسيا والاتحاد السوفييتي -سابقاً- ودول أوروبا الشرقية والغربية.

وستبقى هذه القناة البشرية مفتوحة، وستبقى تضخ في الكيان اليهودي في الأرض المقدسة، بنين وأولاداً، وقادمين يهوداً، حتى تتحقق مشيئة الله في تجميع كل اليهود في هذه المنطقة، تمهيداً لساعة الحسم.

«جئنا بكم لفيفاً»

نعتقد أن هذا مكان مناسب، لنقف مع آية أخرى من سورة الإسراء، تتحدث عن الإفساد الثاني لليهود الذي نعرضه الآن، وهي قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، في آخر السورة: ﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض، فإذا جاء وعد الآخرة، جئنا بكم لفيفاً﴾ (الإسراء: ١٠٤).

أي: قال الله لبني إسرائيل، بعد وفاة موسى عليه السلام -بقرون- «اسكنوا الأرض» أي: تفرقوا في أرض الله الواسعة، وتشتتوا فيها، وعيشوا فيها حياتكم الطويلة، التي يموت فيها أجيال وأجيال، مشتتون في أرض الشتات، وهذا كقوله تعالى ﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة، من يسومهم

سوء العذاب، إن ربك لسريع العقاب، وإنه لغفور رحيم، وقطعناهم في الأرض أمماً. . .﴾ (الأعراف: ١٦٧- ١٦٨)

فإذا جاء وعد الآخرة، وحان وقت إفسادكم الثاني، بعد قرون مديدة من تشتتكم في الأرض والبلاد والبقاع، فإن الله يأتي بكم «لفيفاً»، ويجمعكم من مختلف الدول والأقطار، ويفتح باب هجرتكم إلى الأرض المقدسة، لتتجمعوا فيها، وتقيموا عليها دولتكم وكيانكم، تمهيداً للقضاء عليكم، وإزالة كيانكم فيما بعد.

ومعنى «لفيفاً» ملتفين مجتمعين، وهي في الآية «حال» من الضمير في «بكم»، وتصور الحالة التي يأتي فيها اليهود، من مختلف دول العالم إلى فلسطين، وجاءت الأحداث المعاصرة، لتفسر هذه الآية تفسيراً عملياً واقعياً، فاليهود كانوا يأتون «لفيفاً» إلى فلسطين، منذ بداية توجههم للاستيطان في فلسطين، منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي الماضي، وانتهاء بالقرن العشرين الذي نكاد نودعه في هذه السنوات.

لقد مضى على اليهود أكثر من قرن، وهم يأتون ملتفين في هجرات متتابعة، تقل أو تكثر، وتزيد أو تنقص، وتقوى أو تضعف، لكنها مستمرة على أية حال.

ونرى في هذه السنوات «تسارعاً» وزيادة في الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين، تبدو في هذه الأمواج اليهودية- للمهاجرين اليهود، من دول أوروبا الشرقية، ومن الاتحاد السوفييتي (سابقاً) على وجه الخصوص.

ولن يتوقف مدد الهجرة اليهودية، ولن تغلق تلك القناة البشرية، التي تمد الكيان اليهودي بالأولاد والبنين، حتى يتم تجميع اليهود كلهم في هذه المنطقة.

لأن الآية تخاطب اليهود قائلة: «جئنا بكم» وتوحي بأنه لا بد أن يؤتى ويجاء بهم جميعاً، لا يتخلف منهم أحد في أرض الشتات.

ولهذا ستستمر موجات الهجرة اليهودية للمنطقة، ويجب أن لايخيفنا ذلك، لأن الله يريد أن يدخر لنا القضاء عليهم، لنحقق قدره في النهاية.

«وجعلناكم أكثر نفيراً»

ومن مظاهر قوة اليهود في إفسادهم الثاني، كما تقرر الآية السادسة من سورة الإسراء، القوة المعنوية والإعلامية والدعائية والدولية، والمتمثلة في قوله «وجعلناكم أكثر نفيراً».

والنفير من «النفرة» وهي: الدعم والتأييد والمساعدة والمساندة، فالذي يؤيد آخر ينفر معه، ويقدم له دعمه ومساعدته، ويوافقه في رأيه، ويفرح لفرحه، ويغضب لغضبه، ويوالي من يواليه، ويحارب من يحاربه، ويعادي من يعاديه.

وأوضح ما نرى المعنى المعاصر الحي لقوله «وجعلناكم أكثر نفيراً» في التأييد والدعم العالمي للكيان اليهودي في هذه الأيام.

اليهود الآن هم الأكثر نفيراً، والأكثر أعواناً ومساعدين ومساندين، والأكثر مؤيدين وموافقين في دول العالم. فكثيرة هي الدول الغربية والشرقية -وعلى رأسها أمريكا- المؤيدة لليهود، التي تنفر معهم، وكثيرة هي الإذاعات وشبكات التلفزيون، التي تدعم المواقف اليهودية في العالم، وكثيرة هي الصحف والمجلات ووسائل الإعلام، التي تعرض وجهة النظر اليهودية، وتتبناها وتدافع عنها، ولا تخلو دولة من دول العالم من «أذرع» لذلك «الأخطبوط» الإعلامي الدعائي العالمي، المؤيد لليهود، النافر معهم، تلك الأذرع الأخطبوطية، تتمثل في الصحفيين والإعلاميين والمراسلين والمحللين والوزراء، الذين يحرصون على مرضاة اليهود! إن الصوت اليهودي في هذه الأيام هو أعلى الأصوات في العالم، وإن الدعاية اليهودية هي أعلى دعاية في العالم، وإن الإعلام اليهودي هو أعلى إعلام في العالم، وإن ما يريده اليهود الآن يسارع إلى تحقيقه ذلك الأخطبوط العالمي النافر مع اليهود.

وما موقف أمريكا من قضايا اليهود الإعلامية العالمية عنا ببعيد، وما تدخلها لمصلحة اليهود، واستخدامها حق النقض «الفيتو»، عدة مرات في مجلس الأمن لمصلحة اليهود، عنا ببعيد، وما مهزلة ضغط أمريكا على دول الأمم المتحدة، لتتراجع عن قرارها السابق الذي اعتبرت فيه اليهودية والصهيونية نازية عنا ببعيدة. ألم يصل النافرون مع اليهود إلى ديانة النصارى؟ ألم يصلوا إلى الإنجيل؟ حيث يطالب الرهبان بإلغاء وشطب بعض العبارات من الإنجيل!! لأنها معادية للسامية اليهودية؟؟ وماذا نريد نفيراً مع اليهود أكثر من هذا النفير؟!!

إزالة الإفساد الثاني لليهود

تكلمنا فيما مضى، عن الإفساد الثاني لليهود، الذي تشير له سورة الإسراء، ورجحنا أننا نعيش هذا الإفساد الثاني في هذا الزمن، وعرضنا الأدلة على هذا من خلال الآيات التي تتحدث عنه، وفهمنا الآيات فهماً يلاحظ الحالة الواقعية التي نعيشها، والتي عليها اليهود في فلسطين.

وقد حدثنا القرآن عن كيفية إزالة الإفساد الثاني لليهود، وسورة الإسراء تتحدث عن ذلك، وتحدد الطريق إليه، وتبين كيفيته، وتقدم حقائق حوله.

وقفتنا الآن مع قوله تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها، فإذا جاء وعد الآخرة، ليسوءوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيراً. عسى ربكم أن يرحمكم، وإن عدتم عدنا، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ (الإسراء: ٧-٨).

اليهود بين الإحسان والإساءة

نلاحظ أن القرآن عندما عرض مظاهر قوة اليهود في إفسادهم الثاني، قد تكلم عن الإحسان والإساءة: «ثم رددنا لكم الكرة عليهم، وأمددناكم بأموال

وبنين، وجعلناكم أكثر نفيراً- إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها».

لقد قرر القرآن حقيقة قرآنية قاطعة، ووضع قاعدة حياتية مطردة، حول الإحسان والإساءة.

إن من يحسن فإنما يحسن لنفسه، لأن ثمرة إحسانه تعود إليه، وتنعكس عليه، وتبدو عنده خيراً وسعادة وفوزاً وفلاحاً. وإن من يسيء فإنما يسيء لنفسه، لأن ثمرة إساءته إليه، وتنعكس عليه، وتبدو عنده شراً وشقاءً وهزيمة وخسارة.

هذه القاعدة المطردة حول الإحسان والإساءة، تنطبق على جميع الأفراد والمجتمعات، والأمم والدول، والأقوام والحكومات، في أي زمان ومكان.

والسؤال الآن: لماذا الكلام عن الإحسان والإساءة أثناء الكلام عن إفساد اليهود؟ وما هو الربط بين الأمرين؟

قال الله لليهود في كتابهم «التوراة» من قبل: إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها. فإحسانكم يعود عليكم، وإساءتكم تحيق بكم، فإذا أردتم النجاح والفلاح، فما عليكم إلا أن تحسنوا، تحسنوا إحساناً عاماً شاملاً، وتحذروا الإساءة وتتجنبوها، لئلا تجنوا ثمارها المرة!

وإخبار اليهود في التوراة بهذه القاعدة، رد على زعمهم تفردهم على البشرية وتفضيلهم على باقي الناس، وأنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الله معهم دائماً، ولا يتخلى عنهم أبداً، فإن أحسنوا فهو معهم، وإن أساءوا فهو معهم، وإن طغوا وبغوا وظلموا فهو معهم، ولن يتخلى عنهم لأنهم أبناؤه وشعبه، فكيف يتخلى عن أبنائه وشعبه؟!

هذه الأكاذيب والمزاعم والأوهام اليهودية، لا نصيب لها من الحق، لأنه لا محاباة عند الله، ومن سنة الله أن يقع بالإنسان نتيجة عمله، خيراً كان أو شراً، وأن يجني القوم ثمرة عملهم، إحساناً كان أو إساءة.

فيقول الله في التوراة لليهود، إن الله يجزيكم بإحسانكم، ويجازيكم على إساءتكم، فإن أردتم توفيق الله فعليكم أن تحسنوا، وأن تتجنبوا الإساءة، فإن أبيتم وخالفتم وأسأتم، فانتظروا الجنى المر من ذلك الزرع السام!

تمكن اليهود ملازم لإساءتهم

اليهود قوم عجيبون غريبون، لقد جبلوا على الإساءة والتكبر، والفساد والإفساد، إنهم لا يعرفون الإحسان والبر والرحمة والخير.

وعندما تكون أمامهم طريقان طريق الإحسان والخير، وطريق الإساءة والشر، ويدُعون إلى اختيار إحدى الطريقين فإنهم يختارون الطريق التي تتفق مع نفسيتهم، المعقدة المنحرفة المشوهة، طريق الإساءة والشر، والتاريخ اليهودي بقرونه المديدة، يقدم أوضح الأمثلة على هذه الحقيقة!

جاء الكلام عن الإحسان والإساءة، أثناء الكلام عن الإفساد الثاني لليهود، وهذا يكشف عن النفسية اليهودية العجيبة. اليهود عندما يصلون ويتمكنون ويتحكمون هل يحسنون أم يسيئون؟

إذا كان اليهود لا يعرفون الإحسان للآخرين في فترات الضعف من تاريخهم، فكيف سيحسنون في فترة التمكن والعلو؟

إن اليهود لن يحسنوا عند التمكن والعلو، فعلوُهم وتمكنهم قرين الإفساد والفساد، «لتفسدن في الأرض مرتين، ولتعلن علواً كبيراً». ولا يجتمع الإحسان مع الإفساد، فإذا كان تمكنهم وعلوهم الكبير يقوم على الفساد والإفساد، فهذا يعني أنه ملازم للإساءة والشر.

إن اليهود سيستخدمون فترة حكمهم وتمكنهم في إفسادهم الثاني الكبير، لامتصاص الشعوب عند تحكمهم فيها، وقد امتلأ التاريخ المعاصر -بخاصة في سنواته الأخيرة- الذي شهد الإفساد الثاني لليهود، امتلأ بالأمثلة والنماذج العديدة، التي يبدو فيها امتصاص اليهود للشعوب الغربية والشرقية، والآسيوية والافريقية، والأوروبية والأمريكية.

لقد امتص اليهود خيرات الشعوب العديدة، وبخاصة تلك التي قدمت لهم العون والدعم والتأييد، لقد عض اليهود تلك الأيدي الممتدة لهم بالمساعدة، ولقد قابل اليهود كل ذلك بالإساءة والشر والأذى.

كم أساء اليهود للدول التي دعمتهم؟ كم أساء اليهود للفرنسيين والألمان والإنجليز والروس والأمريكان؟

تقول الآية لليهود في فترة تمكنهم وتحكمهم وعلوهم الثاني الكبير: إذا أحسنتم أيها اليهود مع الدول الأخرى، فإن إحسانكم لأنفسكم، وإن أحسنتم التعامل مع تلك الشعوب، فستبقى تلك الشعوب معكم، وإن راعيتم مصالحها فسوف تراعي مصالحكم.

أما إن أسأتم إلى تلك الدول والشعوب، فإن إساءتكم إليهم في هذا العصر تنعكس عليكم، وبما أن اليهود قابلوا الدعم الدولي لهم بالإساءة، فسوف يواجهون في المستقبل القريب، الانتقام المرير من تلك الدول والشعوب! إن إساءة اليهود للعالم الآن بارزة وواضحة، وإن امتصاصهم لخيرات الدول والشعوب مرفوضة، وإنهم بهذا يستجلبون الغضب الشعبي العالمي عليهم، ويكون عاملاً من عوامل إزالة إفسادهم الثاني الكبير.

هذا هو الإفساد الأخير لليهود

تحدث القرآن عن الإفساد الثاني لليهود بقوله: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم﴾ وبقوله: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً﴾. وقلنا فيما سبق إن الآخرة هنا لا يراد بها يوم القيامة، فليست هي المقابلة للدنيا. وإنما الآخرة هنا هي المقابلة للأولى، الأولى في قوله «فإذا جاء وعد أولاهما» أي المرة الأولى، والآخرة ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي المرة الثانية في الإفساد. ونلحظ في الآية إشارة قرآنية عجيبة، لماذا سمى القرآن الإفساد الثاني بوعد الآخرة؟

الآخرة هي الأخيرة، التي لا شيء بعدها. والدار الآخرة هي المقابلة للدنيا، التي لا دار بعدها، لأنها إما جنة أبداً وإما نار أبداً، واليوم الآخر هو اليوم الأخير الذي لا أيام بعده، حيث يتوقف «عداد الزمن» بعد ذلك، ولماذا العد؟ ولماذا حساب الأيام والشهور والسنين؟ أمن أجل حساب أعمار الأفراد؟ ولماذا حساب أعمارهم؟ طالما أنهم مخلدون في الجنة أو في النار، لا موت ينهي حياتهم، ولا يوقف عدد سنواتهم واستمرار أعمارهم؟

وهذه المرة الثانية في إفساد اليهود هي الآخرة والأخيرة، التي لا مرة بعدها، وإفسادهم هو الإفساد الآخر والأخير، الذي لا إفساد لهم بعده!!

إننا نرى من خلال الآية أن هذا هو الإفساد الأخير لليهود، ذلك الإفساد المقترن بالعلو، والتمكن والسلطان، والتحكم والقوة والنفوذ، إنها الفرصة الأخيرة لليهود، التي يتمكنون فيها من إقامة كيانهم على أرض فلسطين، والتحكم في العالم من خلاله.

وإنها المرة الأخيرة التي لا تتكرر لليهود بعد ذلك، صحيح أنهم قد يعيشون بعد تدمير وإزالة كيانهم على أرض فلسطين، لكن يعيشون أفراداً يهوداً، أو جماعات يهودية في العالم، ذليلة مستضعفة، بدون علو وتمكن وقهر وسلطان.

إننا نحن المسلمين الذين سندمر كيان اليهود بإذن الله، ونزيل إفسادهم الثاني بعون الله، ونريح العالم من العلو اليهودي، والغطرسة والتكبر والإفساد والعدوان.

لماذا قال: «ليسوءوا وجوهكم»؟

المعركة في فترة الإفساد الثاني لليهود، بين اليهود وبين الذين أزالوا إفسادهم الثاني، والحرب بين اليهود وبين نفس الأمة طويلة، تستمر قروناً عديدة، ولا تنتهي إلا بتصفية إحدى القوتين.

وإذا كنا قد رجحنا في ما سبق، أن إفساد اليهود الأول كان في المدينة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة هم الذين أزالوا إفسادهم الأول، فإن أحفاد المسلمين هم الذين يزيلون إفسادهم الثاني.

إذن المعركة في إفسادي اليهود في المرتين، هي بينهم وبين المسلمين.

الخطاب في قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم﴾ ليهود، والإخبار فيه عن المسلمين.

أي: إذا جاء وعد المرة الآخرة من مرتي إفسادكم، وتحقق إفسادكم الأخير، فإن أعداءكم المسلمين سينتصرون عليكم، وسيغلبونكم، وسوف يسوءون وجوهكم، وسوف يدخلون المسجد، وسوف يتبرون ما علوتم تتبيراً، ويدمرونه تدميراً.

الفاعل الضمير في قوله «ليسوءوا» يعود على المسلمين، الذين سيحاربون اليهود، في إفسادهم الثاني، والضمير في «وجوهكم» يعود على اليهود، وكذلك الفاعل في قوله «وليتبروا ما علوا تتبيراً» يعود على المسلمين، والتتبير هو التدمير. إذن قوله: ﴿ليسوءا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ بين طبيعة وملامح وسير المعركة بين المسلمين وبين اليهود، التي تنتهي بإزالة الإفساد الثاني لليهود، وتدمير كيانهم على أرض فلسطين.

إن المعركة لا ينتج عنها إبادة اليهود وإفناؤهم والقضاء عليهم، وإنما ينتج عنها إزالة فسادهم وتدمير كيانهم، وتحويلهم إلى مجموعات يهودية ذليلة مهزومة مسحوقة.

لم تقل الآية: إذا جاء وعد الآخرة سيقتلونكم ويبيدونكم ويفنونكم، وإنما قالت: ليسوءوا وجوهكم.

و«يسوءوا وجوهكم» أي يوقع المسلمون السوء والأذى باليهود، ويبدوا هذا السوء على ملامحهم، ويظهر على وجوههم، وإساءة وجوه اليهود لا تعني إفناءهم، . . . فهم ما زالوا يعيشون أحياء، وما زالت لهم وجوه تساء. ويبدو عليها السوء.

هزيمة وإزالة وليست إبادة

إن إساءة اليهود تعني: هزيمتهم في المعركة، وإزالة إفسادهم، والقضاء على علوهم وغطرستهم، إن سوء وجوههم يبدو في مرارة الهزيمة، التي ينتج عنها ذلهم وهوانهم وضعفهم.

وقوله: «وليتبروا ما علوا تتبيراً»، يساعد على توضيح طبيعة وسير المعركة بين المسلمين وبين اليهود أيضاً، فهؤلاء المسلمون المجاهدون المنتصرون، الذين دخلوا المسجد وغلبوا اليهود، سوف يتبرون كل ما علوا عليه تتبيراً، وسوف يدمرون كل ما ظهروا عليه تدميراً، وسوف يزيلون قوة وسلطان اليهود.

إنهم لا يبيدون اليهود إبادة في هذه المرحلة من معركتهم الطويلة مع اليهود، ولا يفنونهم إفناء، وإنما يتبرون ويدمرون قوتهم، ويقضون على أسلحتهم، وينهون كيانهم.

في هذه المرحلة سيعلو المسلمون المجاهدون، ويظهرون على جيش اليهود، وعلى أسلحة اليهود، وعلى مرافق ومؤسسات وقاذفات اليهود، وعلى الأسلحة الذرية والكيماوية التي عند اليهود، وعلى مفاعلاتهم النووية وترساناتهم العسكرية، وسوف يتبرون كل ذلك تتبيراً، ويدمرونه تدميراً، ويبيدونه إبادة. وبذلك سوف يسيئون وجوه اليهود، لأن اليهود سيتحولون بعد ذلك التدمير والتتبير لكل ما يملكون، إلى مجموعات ذليلة مشتتة، بين الشعوب والأقوام.

معركتنا مع اليهود ذات مرحلتين

إن معركتنا الشرسة القادمة مع اليهود تقوم على مرحلتين:-

المرحلة الأولى: التي تحدثت عنها آيات سورة الإسراء، التي نتحدث عنها، والتي تُوَجَّه الى كيان اليهود على أرض فلسطين لتدميره، وإلى إفسادهم الثاني لإزالته، والتي تنتهي بانتصار المسلمين المجاهدين على اليهود، ويتحقق فيها تدمير كيانهم، وإزالة إفسادهم، واسترداد فلسطين كلها منهم، وتحويل اليهود بعدها إلى قوم أذلاء مستضعفين، ومجموعات مشتتة في مختلف أنحاء البقاع.

المرحلة الثانية: التي تتم فيها إبادة اليهود تماماً، وإفناؤهم نهائياً، وإراحة البشرية من وجودهم، بحيث لا يبقى بعدها يهودي حياً، وهذه المرحلة متأخرة، لعلها لا تأتي إلا في اللحظات الأخيرة من عمر الدنيا، حيث سيظهر الدجال -وهو يهودي- من جهة الشرق، وحيث سيتبعه من يهود أصفهان وحدها -من إيران- سبعون ألف يهودي، والآن لعله لا يوجد فيها خمسة أفراد يهود، ثم يحارب عيسى بن مريم عليه السلام الدجال ومن معه من اليهود، ويقتل الدجالَ بيده الشريفة عليه السلام، وفيها سيقضي المسلمون على كل يهودي، وفيها سيتحقق قول رسول الله صلى الله عليه سلم: «لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، فتقتلوهم، حتى ينطق الشجر والحجر فيقول: يا مسلم يا عبد الله: هذا يهودي ورائي تعال فاقتله».

إننا نرى أن هذا الحديث الصحيح، يتكلم عن الجولة الأخيرة من الجولات العديدة، للحرب الطويلة بيننا وبين اليهود، تلك الجولة التي يكون فيها المسلمون مجاهدين مع عيسى عليه السلام، ويكون فيها اليهود جنوداً مع المسيح الدجال، والتي تنتهي بإفناء كل يهودي، والتي تقوم بعدها الساعة.

أما قوله: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ فهو يتحدث عن إزالة الإفساد الثاني لليهود، ويكون قبل الجولة الأخيرة من المعركة بزمن طويل، وتحقيق هذا قريب بعون الله.

إنها حرب طويلة مديدة بيننا وبين اليهود، بدأت منذ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وسوف تستمر حتى خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، والقضاء على آخر يهودي بعد ذلك. هذه المعركة الطويلة لها جولات وجولات، وفيها كر وفر، يغلبنا فيها اليهود مرة، ونغلبهم مرات، ويهزموننا مرة، ونهزمهم مرات.

وإن أشد وأعتى وأعنف وأقسى جولات هذه المعركة، هي هذه الجولة، التي نعيش فيها في هذا الزمان، والتي تحققت فيها غلبة اليهود علينا، وهزيمتهم لنا، ولكنها جولة، تتبعها جولات، لنا فيها الظفر والغلبة والنصر بإذن الله.

وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة

وردت هذه الجملة من الآية، أثناء الحديث عن إزالة الإفساد الثاني لليهود، وقد حددت بعض ملامح المعركة في هذه الجولة، «وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة».

الضمير الفاعل في«ليدخلوا» يعود على الضمير الفاعل في قوله«ليسوءوا»فالذين يسوءون وجوه اليهود، هم الذين يدخلون المسجد كما دخلوه أول مرة، وهذا الضمير يعود على المسلمين المجاهدين لليهود، فهم الذين يدخلون المسجد، بعدما يسوءون وجوه اليهود.

والمراد بالمسجد هنا المسجد الأقصى، والتعريف فيه للعهد، لأنه ذكر في الآية الأولى من السورة «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله» وقوله «كما دخلوه أول مرة» فاعل «دخلوه» يعود على المسلمين، والهاء المفعول به في«دخلوه» تعود على المسجد الأقصى، وأول مرة دخولهم للأقصى فاتحين في المرة الأولى.

ومعنى الآية: عند إفساد اليهود الثاني، سيتغلب عليهم المسلمون، وسيسوءون وجوه اليهود، وسيدخلون المسجد الأقصى فاتحين، وسيستردونه من اليهود، كما

دخلوا هذا المسجد الأقصى فاتحين أول مرة، وأخذوه من كفار مثل اليهود، واستردوه منهم، وهم الرومان الذين كانوا يستعمرون الأقصى وفلسطين، عند إفساد اليهود الأول في المدينة، ففتح المسلمون بلاد الشام في خلافة الصديق وعمر رضي الله عنهما، ودخلوا المسجد الأقصى فاتحين، وطردوا منه الرومان، بعدما ساءوا وجوههم، وتبروا ما علوا عليه من قوة وسلطان الرومان تتبيراً، ودمروه تدميراً، في فتوح بلاد الشام، وما أشبه الليلة بالبارحة!

المعركة: معركة الأقصى

لقد بُني المسجدُ الأقصى زمن إبراهيم عليه السلام ليُعبد فيه الله وحده، ثم عَدْت عليه عوادي الزمن، فجدده سليمان عليه السلام مسجداً إسلامياً، ليعبد فيه الله وحده، ثم عدت عليه عوادي الزمن بعد ذلك، وانتهى باستعمار الرومان النصارى الكافرين لما حول المسجد الأقصى، فخرج المسلمون المجاهدون بعدما أزالوا إفساد اليهود الأول في المدينة، إلى بلاد الشام، وحرروها من الرومان الكافرين، ودخلوا المسجد الأقصى، وأعادوه لعبادة الله وحده.

وعند إفساد اليهود الثاني وإقامة كيانهم على أرض فلسطين: سلبوا المسلمين المسجد الأقصى وما حوله، ولذلك عندما ينتصر عليهم المسلمون المجاهدون ويسوءون وجوههم، ويتبرون ما علوا تتبيراً، سيتوجون انتصارهم بدخولهم المسجد الأقصى، وإعادته لعبادة الله وحده.

عند إفساد اليهود الأول في المدينة، كان المسجد الأقصى خاضعاً للكفار الرومان، فلما أزال المسلمون إفسادهم الأول، دخلوا المسجد الأقصى وحرروه من سلطان الرومان.

وعند إفساد اليهود الثاني في هذا العصر، احتل اليهود المسجد الأقصى، وعندما يزيل المسلمون المجاهدون هذا الإفساد سيدخلون المسجد

الأقصى ويحررونه من سلطان اليهود.

ثم إن قوله«وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة» يبين كيفية دخول المسلمين للمسجد الأقصى، عند إفساد اليهود الثاني، ويوضح كيفية الحرب مع اليهود، إنهم لن يدخلوا الأقصى في المرة الثانية الآخرة، عن طريق السلم والصلح والمفاوضات مع اليهود، لأن هذا معناه العبودية والذل والهوان والاستسلام.

إنهم سيدخلون المسجد الأقصى ويحررونه من اليهود الكفار في المرة الثانية، كما دخلوه وحرروه من الرومان الكفار في المرة الأولى، عند إفساد اليهود الأول، حيث دخلوه فاتحين غالبين منتصرين. وهذا يعطينا بشرى وأملاً بانتصارنا على اليهود، وإزالتنا لإفسادهم الثاني، وتحريرنا لفلسطين كلها منهم بعون الله.

ثم إن المعركة عند الإفساد الثاني لليهود، بين المسلمين وبين اليهود، هي معركة إسلامية إيمانية، في الجانب الإسلامي، وليست معركة قومية أو يسارية أو يمينية أو إقليمية، إنها ليست معركة فلسطينية أو عربية فقط، إنها معركة إسلامية، معركة المسجد الأقصى، هذه هوية المعركة وطبيعتها، وينتج عنها تحرير البلاد، ورفع كلمة الله، وتطبيق شرع الله على تلك البلاد المحررة.

لطائف قرآنية من الآيات

لدى تدبرنا للآيات التي تتحدث عن إفسادي اليهود، والتي تحدد لنا مظاهر قوة إفسادهم الثاني، وكيفية إزالته والقضاء عليه، والتي تشير إلى أن كيانهم المعاصر على أرض فلسطين إلى زوال، وأنه لا مستقبل لهم على أرضنا المقدسة، لدى تدبر هذه الآيات فسنجد فيها بعض اللطائف القرآنية، التي تعزز وتؤكد فهمنا للآيات كما عرضناه من قبل. ومن هذه اللطائف بالإضافة إلى ما ما عرضناه منها من قبل:

أفعال ثلاثة مقابل أفعال ثلاثة

الأفعال التي تشير إلى تمكن اليهود مسندة إلى الله، وهي أفعال ثلاثة:

«ثم رددنا لكم الكرة عليهم، وأمددناكم بأموال وبنين، وجعلناكم أكثر نفيراً» رددنا، أمددنا، جعلنا، الفاعل في الأفعال الثلاثة «نا» الذي يعود الى اللّه، أي الله هو الذي يرد لليهود الكرة على المسلمين عند الإفساد الثاني، وهو الذي يمد هؤلاء اليهود بالأموال والبنين، وهو الذي يجعلهم أكثر نفيراً، أي الله يفعل هذا بهم، ويملي لهم ويمكنهم الى حين، وفق حكمته ومشيئته، التي تنتهي بهم إلى تدميرهم والقضاء عليهم.

واسناد الأفعال الثلاثة السابقة الى الله، يوحي بأن اليهود لا يملكون قوة ذاتية عند إقامتهم لكيانهم الموعود، وإنما هم خاضعون لمشيئة الله، التي ستكتب عليهم الدمار والهلاك في النهاية.

وعند كلام الآية عن فعل المسلمين بهم، فقد عرضت ثلاثة أفعال، مسندة للمسلمين المجاهدين «فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيراً» ليسوءوا، وليدخلوا، وليتبروا، والفاعل فيها «الواو» يعود على المسلمين، صحيح أن الله هو الذي يقرر ويقدر، ويشاء ويريد إساءة وجوه اليهود، ودخول المسلمين المجاهدين للمسجد، وتدميرهم قوة اليهود. لكن إسناد هذا الى المسلمين فيه تكريم من الله للمسلمين، وتشريف لهم. إذاً هي أفعال ثلاثة لليهود، تقابلها أفعال ثلاثة للمسلمين.

بين «إذا» و «إن».

وهناك لطيفة قرآنية أخرى في الآيات، عندما تكلمت الآية عن تحقق الإفساد الثاني لليهود، وعن تدمير المسلمين له عبرت بحرف الشرط «إذا»، فقالت «فإذا جاء وعد الآخرة، ليسوءوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول

مرة، وليتبروا ما علوا تتبيراً».

بينما عبرت بحرف الشرط «إن» عند كلامها عن إحسان اليهود «إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها»

كما عبرت بحرف الشرط «إن» عند كلامها عن عودة اليهود للإفساد، «وإن عدتم عدنا»، وهناك فرق بين «إذا» و«إن» الشرطيتين.

تدخل«إذا»على فعل الشرط إذا كان متحقِّقا وقوعه متأكَّداً منه، لا شك فيه، وتدخل «إنْ»على فعل الشرط غالباً، إذا كان مستحيل الوقوع، أو مشكوكاً في وقوعه.

ولهذا طالما أن إفساد اليهود الثاني سيتحقق، وطالما أنه سيزول ويدمر من قبل المسلمين، لذلك عبر عنه بحرف الشرط«إذا»، الذي يدل على وجوب الوقوع.

ولكن بما أن الإحسان من اليهود لن يتحقق، لذلك عبر عنه بحرف الشرط«إن»التي تدل على استحالة الوقوع، أو الشك فيه، «إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم».

وبما أن عودة اليهود للإفساد، بعد تدمير كيانهم في إفسادهم الثاني مستحيلة، عبر عنها بحرف«إن» التي تدل على هذا المعنى «إن عدتم عدنا».

بهذا نكون قد قدمنا فهمنا للآيات التي تتحدث عن إفسادي اليهود، في سورة الإسراء، وبهذا عرفنا أننا نعيش الآن إفسادهم الثاني، وعرفنا أننا المرشحون لتدمير كيانهم، وإزالة إفسادهم الثاني، وبهذا نعرف أن كيانهم القائم على أرض فلسطين لا مستقبل له!

نقدم فهمنا للآيات للقراء الكرام، ونَكِلُ علمها إلى الله سبحانه، فإن أصبنا فمن الله، وله الحمد والشكر على ذلك، وإن أخطأنا فيما قلنا وفهمنا، فمن أنفسنا، ونعوذ بالله من ذلك، والله تعالى أعلم، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل. ونعوذ بالله من فتنة القول والعمل، ومن فتنة الهوى وسوء

الفهم. ونتوجه بهذا إلى الله، راجين منه القبول، والأجر والثواب، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

كتب صدرت للمؤلف

حسب صدور طبعاتها الأولى

١- سيد قطب "الشهيد الحي"

٢- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.

٣- أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب.

٤- مدخل إلى "في ظلال القران".

٥- المنهج الحركي "في ظلال القرآن"

٦- "في ظلال القرآن" في الميزان

٧- مفاتيح للتعامل مع القرآن.

٨- في ظلال الايمان

٩- الشخصية اليهودية من خلال القرآن.

١٠- تصويبات في فهم بعض الآيات.

١١- مع قصص السابقين في القرآن: ١-٣

١٢- البيان في إعجاز القرآن

١٣- ثوابت للمسلم المعاصر.

١٤- إسرائيليات معاصرة

١٥- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد.

١٦- لطائف قرآنية.

١٧- تفسير الطبري: تقريب وتهذيب.

١٨- هذا القرآن

١٩- حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية.

٢٠- القصص القرآني وقائع وأحداث.

٢١- التفسير والتأويل في القرآن.

صدر من

منشورات "فلسطين المسلمة"

١- حرب الأيام السبعة	غسان دوعر
٢- لن نحمل الرصاص (قصص)	جهاد الرجبي
٣- القسام (رواية)	عبد الله الطنطاوي
٤- هكذا أبعدوني	غسان هرماس
٥- عماد عقل : أسطورة الجهاد والمقاومة	غسان دوعر
٦- شعارات الانتفاضة	طارق محمد وإبراهيم محمد
٧- حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية	د. صلاح الخالدي
٨- اتفاق أوسلو وتداعياته	منير شفيق
٩- سجل المبعدين في مرج الزهور	بإشراف د. عبد الفتاح العويسي
١٠- الطريق إلى القدس	د. محسن محمد صالح

هذا الكتاب

إن من ينظر إلى اليهود بمنظار القرآن، لن يخدع بهم أبداً، وإن الذي يتزود في جهاده ليهود بزاد القرآن، لن يملّ من الجهاد أبداً، وإن الذي يتعامل مع القضية الفلسطينية على أساس حقائق القرآن، لن يتخلى عنها، ولن يتنازل عن شبر منها، ولن يفاوض اليهود ولن يصالحهم عليها.

إننا نريد وأهلنا وإخواننا أن يرجعوا إلى حقائق القرآن، وأن يتزودوا منه، وأن يستنطقوه، وأن يهتدوا به، وأن يتحركوا به، وعندها يكونون قد بدأوا السير خطوات ثابتة، في طريق الجهاد اللاحب الطويل، الذي يقود إلى النصر، وينتهي إلى إزالة كيان اليهود على أرض فلسطين، ويحقق تحرير كل فلسطين من البحر إلى النهر، ومن رفح إلى الناقورة .

تطلب جميع منشوراتنا من :
FILISTINE AL MUSLEMAH / P.O. BOX : (2502) / LONDON NW2 4JQ - UK
أو / الأردن - عمان، ص.ب : (٩٦١٦١٨) - المدينة الرياضية